عمالقة الإسلام

٩ - أبو ذر الغفاريّ
١٠ - سعد بن معاذ

إعداد
عبد القادر الشيخ ابراهيم

دار القلم العربي



سلسلة عمالقة الإسلام

٩

أبو ذرٍّ الغفاريّ

ما أظلّتِ الخضراءُ، ولا أقلّتِ الغبراءُ أصدق لهجة

من أبي ذر

" حديث شريف

إعداد وتأليف

عبدُ القادرِ الشيخ ابراهيم

مراجعة وتدقيق

أحمد عبدُ الله فرهود

دار القلم العربي

منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سُورِيَة - حَلَب - خلف الفُنْدُق السِّياحي

شارع هدى الشِعْرَاوي

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٢١٢٣٦١ ٠٢١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو ذرٍ الغفاريّ ﷺ

اسمه ونسبه :

اختلف في اسمِهِ اختلافاً كثيراً ، فقيل : اسمُهُ جندبُ بنُ جنادةَ ، وهو أصحُ ما قيل فيه وأكثر وأشهر.

وقيل : اسمُهُ بريرُ بنُ عبدِ الله ، وبُرَيرُ بنُ جنادة، وبُرَيرُ بنُ عشرقة)

وقيل : اسمُهُ بريرُ بنُ جندب، وجندبُ بنُ عبد ، وجندبُ بنُ السكن .

وقيل : غير ذلك ، والأصحُ الأول ، والله أعلم .

ويُنسبُ : جندب بنُ سفيانَ بنِ جنادةَ بنِ عُبَيدِ بنِ الواقعةِ أو الوقيعة بنِ حرام بنِ غفارِ بن مُلَيلٍ بن ضمرةَ بنِ كنانةَ بنِ خزيمة بنِ مدركة بنِ الياسِ بنِ مضرَ بنِ نزار الغفاري.

وأمُهُ: رملةُ بنتُ الوقيعةِ ، من بني غفارِ بن مُلَيلٍ أيضاً .

صفتُهُ:

كان ﷺ طويلَ القامةِ، أسمرَ اللونِ، معروقَ الوجهِ، نحيفاً، عُرِفَ بالزهدِ والتواضعِ ، واشتُهِرَ بينَ الصحبِ الكرامِ بأنه

الزاهدُ المشهورُ ، الصادقُ اللهجةِ ، المجاهدُ في سبيلِ اللهِ ، الصريحُ في أقوالِهِ ، الجريءُ في مواقفِهِ ، ولا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ ، يدفعُ حياتَهُ ثمناً لصراحتِهِ.

إسلامُهُ:

كان أبو ذرٍ ﷺ قبل إسلامِهِ مفعماً بالإيمان، تملكُ قلبَهُ ، وتسيطرُ على نفسِهِ نزعةٌ دينيةٌ حادّةٌ ، يحسُّ بها أو يخضعُ لها ويدركُ حقيقتها ، لقد كان يحمل بين جوانحِهِ وفي حنايا صدره طبيعةً مؤمنةً ، ونفساً نقيةً ، وروحاً طاهرةً ، وعاطفة جيّاشةً ، على استعدادٍ تامٍ للتجاوبِ مع صوتِ الحقِ والتفاعلِ مع دعوةِ الخيرِ ، والنهوضِ لمقارعةِ الشرِ، ومحاربةِ الرذائلِ.

لقد كان ﷺ معروفاً بين قومِهِ في الجاهلية بدعوةِ التوحيدِ، وترديدِ قولِ لا إله إلا الله ، وينكرُ على قومِهِ عبادةَ الأصنام، حتى لقد عُرِفَ بينهم بأنه لم يسجدْ لصنمٍ،

فلقيه رجلٌ من مكّةَ بعد أن أوحِيَ إلى النبيِ ﷺ ، فقال له: يا أبا ذر، إن بمكةَ رجلاً يقولُ مثلَ ما تقولُ لا إله إلا الله ، ويزعُمُ أنه نبيٌّ.

قال أبو ذرٍ : ممن هو ؟

قال : من قريشٍ.

فتزوّد ، وركب راحلتَهُ وانطلق ميمماً وجهَهُ شطرَ مكـــةَ ، فرأى أبا بكر يضيفُ الناسَ ، ويطعمُهُمُ الزبيب.

فجلس أبو ذر معهم ، وأخذ يصغي إليهم ، ويســـتمعُ لمـــا يقولون لعله يسمعُ من أحدِهم كلمةً فيها ذكرٌ للنبي ، أو للدينِ الجديدِ فيتعلقَ بها ، ويتعرفَ من خلالِها على هذا النبي.

ولكنه لم يسمعْ من أحدِهم كلمةً ، فأخذ يســـألُهم: هـــل أنكرتُم على أحدٍ من أهلِ مكةَ شيئاً ؟.

فقال رجلٌ : نعم ، ابنُ عمٍ لي يقـــولُ : لا إلـــه إلا الله ، ويزعمُ أنه نبيٌّ .

قال : فدلّني عليه ؟

فأخذه الرجلُ إلى النبي ﷺ ، فإذا هو نائمٌ قد سَدَلَ ثوبَـــهُ على وجهِهِ .

فدنا منه أبو ذر فقال : انعم صباحاً .

فقال له النبيُّ ﷺ : عليك السلامُ.

قال أبو ذر: أنشدني ما تقولُ؟

قال : ما أقولُ الشعرَ ، ولكنه القرآن، وما أنا قلتُهُ ولكن الله قالَهُ .

قال : اقرأ عليَّ ؟

فقرأ النبيُّ ﷺ سورةً من القرآن ، فدُهِشَ أبو ذرٍ من فصاحةِ هذا الكلامِ ، وإعجازِهِ ، وحسنِ بيانِهِ ، وأُعجبَ به إعجاباً سيطر على قلبِهِ ومشاعره وأحاسيسهِ، وإذا بلسانهِ ينطلقُ قائلاً: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً رسولُهُ.

فسأله النبي ﷺ: ممن أنتَ ؟

قال : من غِفار.

فجعل النبي ﷺ يرفعُ بصَره فيه ويصوبُهُ تعجباً ، واستغراباً، من غفار ؟ ...!!

إنها قبيلةٌ رجالُها يقطعون الطريقَ ، ويغيرون على الناسِ ، فيأخذون ما لديهم من مالٍ ومتاع، أيعقلُ أن يأتيَ رجلٌ منهم ليسلمَ بهذه السرعةِ، وعلى هذا النحو ؟...!!

ثم ردَّ النبي ﷺ الأمرَ إلى اللهِ تعالى وقال : إن اللهَ يَهدي من يشاء.

نعم،[ولكنّ اللهَ يهدي من يشاءُ وهو أعلم بالمهتدين] [1]، يعلمُ من يكونُ أهلاً للهدايةِ فيقذفُ نورَها في قلبِهِ لينشرحَ وينفسحَ ، ويقبلَ على اللهِ بكلّيتيهِ.

---

[1] الآية ٥٦ من سورة القصص.

[أ فمن شرح اللهُ صدرَه للإسلامِ فهو على نورٍ من ربه][1]

فجاء أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ ، فأخبره بإسلامِهِ .

فقال له أبو بكرٍ : أليس ضيفي أمسِ؟

قال : بلى .

قال أبو بكر : فانطلِقْ معي .

فانطلق معه ، فأقام عنده أياماً ، وبينما هو في البيتِ إذ رأى امرأةً تطوفُ ، وتدعو بأحسنِ دعاءٍ ، وهي تخاطبُ إسافاً ونائلةَ. [2]

فقال أبو ذر : أنكحي [3] أحدَهما صاحبَهُ .

فغضبَتْ من كلامِهِ، وقالت له : أنت صابئٌ .

فجاء بعضُ الفتيةِ من قريشٍ فضربوه، وجاء آخرون من بني بكرٍ فناصروه، وقالوا : ما لصاحبنا يُضرَبُ ؟

---

[1] الآية ٢٢ من سورة الزمر .

[2] إساف ونائلة : اسمان لصنمين كان أهلُ الجاهليةِ يعتقدون أنهما كانا رجلاً وامرأةً فزنيا داخلَ الحرمِ فمسخهما الله تعالى صنمين،وجعل أحدَهما على الصفا والآخرَ على المروةِ ... هكذا يعتقدون والله أعلم .

[3] أنكحي : زوجي .

وفي روايةٍ أخرى أن أبا ذر رأى امرأتين فقال لهما : أنكِحا أحدَهما الآخرَ فغضبتا من قولِهِ لاعتقادِهما أنه يسخرُ منهما .

فتحاجزوا فيما بينهم ،فجاء أبو ذر إلى النبي ﷺ فقال :
يا رسولَ الله ، أمّا قريشٌ فلا أدعُهُم حتى أثأرَ منهم : فقد ضربوني .
فغادر مكةَ وأقام بعُسْفان يقطعُ على قريش طريقَهم ، فكانوا يلقون ما معهم من أحمال ويقولُ لهم : لا أَردُّ إليكم منها شيئاً حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله .
فإذا قالوا ذلك ردَّ عليهم ما أخذ منهم ، وإن أبوا صادرها لهم ولم يردَّ عليهم منها شيئاً ، بقي على ذلك حتى هاجر النبيُّ ﷺ إلى المدينةِ ثم لحق به إلى المدينة بعد غزوةِ الخندق .

حديثٌ آخرَ عن نبأ إسلامه

كان أبو ذر ﷺ بدوياً يعيشُ في الصحراء ، حيثُ الطبيعةُ الهادئةُ والسماءُ الصافيةُ ، والشمسُ الساطعةُ ، والهواءُ الطلقُ .
وحيثُ الحياةُ العفويةُ البسيطةُ البعيدةُ عن التعقيد والتكلفِ، والمشقةِ والتحرج .
وحيثُ الزراعةُ السهلةُ، والصناعةُ البسيطةُ، ورعيُ الإبلِ والغنمِ.

وحيثُ الأخلاق الفاضلة، والصفاتُ الحميدةُ، والشمائلُ السمحةُ اللينةُ ، فكان من الضرورةِ أن يكتسبَ أبو ذرٍ من هذا الواقع الذكاءَ والفطانةَ وقوة الفراسةِ ، وبُعدَ النظرِ ، ورجاحةَ العقلِ ، ونقاءَ الفطرةِ ، وصفاءَ السريرة.

لم تكدْ تشرقُ عليه شمسُ الغدِ حتى بلغهُ أن رجلاً ظهر بمكة يزعمُ أنه نبيٌّ أرسله الله تعالى إلى الناسِ يدعوهم إلى عبادةِ الله الواحدِ القهار، ونبذِ عبادةِ الأصنام، والاجتماعِ على كلمةِ التوحيدِ ، ولمْ شملِ القبائلِ العربيةِ المتناحرةِ والمتخاصمةِ والمتباغضةِ .

***

فتأمّلَ أبو ذرٍ هذه الدعوة الإنسانية السمحةَ وألقى إليها السمعَ وهو شهيدٌ ، وأصغى إليها باهتمامٍ بالغٍ وشديدٍ ، ومال إليها قلبُهُ ، وارتاحَتْ إليها نفسُهُ ، وتمنى أنّ له جناحين يطيرُ بهما إلى مكة، ليلقى هذا النبيَّ الكريمَ الذي جاء بدعوةٍ ترتاحُ إليها النفسُ ، ويطمئنُ إليها القلبُ ، وتتجاوبُ معَ الفطرة الإنسانية النقيةِ ، هذه الفطرةُ التي لم تعد تسيغُ عبادةَ أصنامٍ منحوتةٍ من حجارةٍ ، أو متخذةٍ من خشبٍ، أو معجونةٍ من طينٍ .

من أجل هذا أسرعَ أبو ذرٍ خطاه إلى أخيه أُنيسٍ الذي كان مثله يحملُ فطرةً سديدةً نقيةً،فقال له:اذهب إلى مكةَ فأتني بخبرِ هذا الرجلِ الذي يزعمُ أنه نبيٌّ،وأنه يأتيه الوحيُ من السماء .

فانطلق أنيس يُغذُّ السيرَ،حتى أتى مكّة، فجلس مع النبيِّ ﷺ، فسمع منه ما أثلج صدرَه، وأراح ضميرَه .

ثم رجع إلى مضاربِ قومِهِ ليخبرَ أخاه بما رأى وما سمع ، وقال له: لقد التقيتُ الرجلَ واستمعتُ إلى حديثِهِ، فعلمتُ أنه يدعو إلى مكارمِ الأخلاق،ومحاسنِ الأعمال، وسمعتُهُ يأمرُ بالمعروف، وينهى عن المنكرِ،ويحثُّ على صلةِ الرحم، وإغاثةِ الملهوفِ، ونصرةِ المظلومِ، وإكرامِ الجارِ، وقرى الضيف، وبرِ الوالدين.

ومن صفاتِهِ أنه يعطي من حرَمَهُ ، ويصلُ من قطعهُ ، ويعفو عمّن ظلَمَهُ، ويحسنُ لمن أساء إليه.

فقال أبو ذرٍ في نفسهِ : واللهِ ، إنها لصفاتُ الإنسانِ العربي النبيلِ. فلم يستطع البقاءَ في قومِهِ ، وأزمع السفرَ من ساعته، وانطلق إلى مكةَ يحدوه الحنينُ ، ويسبقُهُ الشوقُ، وتدفعُهُ اللهفةُ إلى لقاءِ هذا النبي الكريمِ الذي طالما انتظره الناسُ ، وتمنوا أن

يُدرِكوه، ويجتمعوا به ،ويتّبعوه ، لما سمعوا من علمـــاءِ أهـــلِ الكتابِ أن نبياً قد أظلَّ زمانُه، وأنهم سوف يغلبون به العَــربَ، وينتصرون عليهم، ويقتلونهم به قتلَ عادٍ[1]وإرمَ .

(أبو ذرٍ في مكة)

وانتهى أبو ذر ﷺ إلى مكةَ، فاستحيا أن يسألَ أحداً عـــن شيءٍ يتعلق بالنبي ﷺ ودعوتِهِ ، حتى أدركه الليلُ ، وخيَّمَ عليه الظلامُ، وليس له في مكةَ صديقٌ ولا قريب، فاضطُرَّ أن يبيـــتَ في ناحيةِ المسجدِ، فمرَّ به عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ فعرف أنـــه غريبٌ ليس له خِلٌ أو أنيسٌ يأوي إليه ، ليمضيَ الليلةَ عنـــده، فقال له عليٌّ ﷺ : ممنِ الرجلُ؟

قال :رجلٌ من بني غفار.

قال عليٌّ: قُمْ إلى منـــزِلِك.

---

[1] ذلك أن اليهودَ كانوا على خلافٍ دائمٍ واقتتالٍ مع مشركي العربِ ، فكانوا يتوعدونهـــم ، ويهددونهم ببعثةِ النبي، ويقولون لهم : إنه سيُبعَث في آخرِ الزمان نبيٌّ نقتلكم معه قتلَ عـــادٍ وإرم وإلى ذلـــك يشـــيرُ قولهُ تعالى : [ولما جاءهـــم كتابٌ من عنـــدِ الله مصدقٌ لمـــا معهم وكانوا من قبلُ يســـتفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا بـــه فلعنةُ الله على الكافرين] صدق الله العظيم .. الآية ٨٩ من سورة البقرة .

فانطلقا معاً إلى منـــزلِ عليٍّ ﷺ ولم يسألْ أحـــدٌ منـــهما صاحبَهُ عن شيءٍ.

وفي صبيحةِ اليوم الثاني غدا أبو ذرٍ يبحثُ عن النبي ﷺ فلـم يهتدِ إليه ، وكرِهَ أن يسألَ أحداً عنه، حتى إذا أدركه الليـــلُ أوى إلى مكانِهِ في ناحيةِ المسجدِ، فمرَّ به عليٌّ ﷺ ، فقال : أما آن للرجلِ أن يعرفَ منـــزلَهُ؟

ثم أخذه وانطلقا معاً لا يسألُ أحدُهما صاحبَهُ عن شيءٍ.

وفي صبيحةِ اليوم الثالثِ سأله عليٌّ عن شأنِهِ، وما حاجتُـهُ ، وما سبب مجيئِهِ إلى مكةَ ، ومنامِهِ في الحرمِ وهو لا يعرفُ أحداً فيها، وما رآه اجتمع مع أحدٍ ، أو خاطب أحداً.

فقال أبو ذرٍ : لئن أخبرتُك عن سببِ مجيئي هل ســـتكتُمُهُ وتستُرهُ ، ولا تفشي به لأحد؟

فقال: أفعل.

فأخبرَه أنه بلغه خروجُ رجلٍ في مكة يزعمُ أنه نبيٌّ يأتيه الخبرُ من السماءِ، فأرسل أخاه ليأتيَهُ بخبرِهِ، وبما سمع منه ، فلم يأتِـــهِ بخبرٍ يَشفيه ويثلجُ صدرَه، وأنه جاء لهذا الأمرِ ليتحقـــق منـــه بنفسهِ.

فقال له عليٌّ ﷺ : إني غادٍ فاتبعْ أثري، فإني إن رأيتُ مـــا

أخافُ عليك اعتللتُ بالقيامِ كأني أهريقُ الماءَ فآتيك، وإن لم أرَ أحداً، فاتبع أثرى حتى تدخلَ حيثُ أدخلُ.

(أبو ذر يجتمعُ بالنبي ﷺ)

فكان عليٌّ رضي الله عنه يمشي أمام أبي ذر في خفيةٍ عن الناسِ يتظاهرُ أنه يمشي بمفردهِ لا يعرفُ أحدُهما الآخر،حتى انتهى إلى النبيﷺ فدخل عليه فتبعه أبو ذر على أثرِه، ولما وقع بصرُهُ على النبي ﷺ ارتاحَتْ لرؤيته نفسُهُ، واطمأَن به قلبُهُ ، وعلم بفراستِهِ أن وجهَهُ ليس بوجهِ كذاب فبادله النبيﷺنظرةً مماثلةً، ورمقه بابتسامةٍ حلوة راضيةٍ ودعاه إليه.

ولم تكدْ يدُ أبي ذرٍ تلامسُ يدَ النبي ﷺ حتى انطلق لسانُهُ يشهدُ شهادةَ الحقِ قائلاً : أشهد أن لا إله إلا اللهُ، وأشهدُ أن محمداً رسولُ اللهِ.

ثم جلس بجانبه يصغي إلى حديثِهِ فأُعجبَ به إعجاباً شديداً، فقال: يا نبيَّ اللهِ، ما تأمرُني؟

قال : ترجعُ إلى قومِك حتى يبلُغَكَ أمري.

فقال أبو ذرٍ : والذي نفسي بيدِهِ لا أرجعُ حتى أصرُخَ بالإسلامِ في المسجدِ.

فغادره وانطلق نحو المسجد وهو مفعمٌ بالإيمان،وقد امتلأ قلبُهُ ثقةً ويقيناً وحيويةً ونشاطاً يستطيعُ أن يجابهَ بها قريشاً بأجمعِها.

لقد علم ﷺ علمَ اليقين أن النبي ﷺ على حقٍ ، وأنه رسولُ الله بحقٍ وصدق ، وأن الرسالةَ التي بُعثَ بها ويدعو إليها وحيٌ من اللهِ تعالى، فلم الاختفاءُ والاستتارُ؟

لِمَ نكتمُ إيمانَنا وعقيدَتَنا ؟ ولِمَ نخفي دينَنا وهو الحقُ ، ولا نجاهرُ به قريشاً، ونتحدّى كفرَهم وشركَهم وهم على الباطل؟

إن من يحملُ عقيدةً طاهرةً ونقيةً ، ويؤمنُ بها مبدأ لحياتِهِ، ومنهجاً لسلوكِهِ يجبُ أن لا يخجلَ منها، ولا يخفيَها ويستترَ بها عن الناس ، بل يجبُ أن يعلنها ، ويصرحَ بها ، ويرفَعَها عاليةً مدويةً، وليكُنْ بعد ذلك ما يكونُ ، وكذلك فعل أبو ذرٍ لقد دخل المسجدَ فنادى بأعلى صوتِهِ: أشهدُ أن لا إلـه إلا الله ، وأن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ.

فثار المشركون إليه وقالوا : صبأ الرجلُ، صبأ الرجل، وجعلوا يضربونه حتى صُرِعَ مغشياً عليه ، فأتاه العباسُ بنُ عبدِ المطلب فأكبَّ عليه وقال:ويحكم أيها الناسُ،قتلتمُ الرجل...!!

يا معشرَ قريش، أنتم تجارٌ، وطريقكم على غِفار، أ فتريدون أن يُقطَعَ عليكُمُ الطريقُ؟

فأمسكوا عنه.

ولم يكفَّ أبو ذرٍ عن فعلِهِ، ولم ينتهِ عن إعلانِ إسلامِه، بل لم ينتهِ عن الاستهزاءِ بقريشٍ، وتحدي بأسِهِم وبطشِهِم، وتسفيه عقيدتهم ومعبوداتهم،وهو الغريبُ في مكةَ بين قومٍ ليس بينه وبينهم معرفةٌ ولا صداقةٌ، ولا تربطُهُ بهم رَحِمٌ ولا قربى، ولكنه الرجلُ السويُّ صاحبُ الموقفِ والمبدأ الذي لا يخشى النتائج والعواقبَ ، بل إن النتائجَ والعواقب لا تدخلُ في حسابهِ بحالٍ، فلقد آمن بالله رباً ، وبالإسلامِ ديناً، وبالقرآنِ إماماً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً ، فلِمَ الخوفُ إذن ...؟...!!ولِمَ الحذرُ؟

وإذا العنايةُ راقبتك عيونُها   نَمْ فالمخاوفُ كلُّهنَّ أمانُ

(أبو ذر يدعو قومَهُ إلى الإسلام)

لقد أسلم أبو ذر قديماً فكان ترتيبهُ الرابعَ أو الخامسَ ، فكان إذن من السابقين الأولين إلى الإسلام ، ورأى النبي ﷺ من آيات صدقِهِ وإخلاصِهِ وتفانيهِ في سبيلِ دينهِ وعقيدتِهِ.

كما رأى من شجاعتِهِ وصلابتِهِ وقوةِ يقينهِ في تحمل المشاق، ومواجهةِ الصعابِ ، وتذليلِ العقباتِ ما يجعلُهُ موضعَ ثقةِ النبي ﷺ ومحبته وتقديره.

لقد طلب منه النبيُّ ﷺ أن يغادرَ مكةَ ، ويلحَق بقومِه ليكونَ سفيراً له عندهم ،وممثلاً عنه بينهم يدعوهم إلى اللهِ، ويهديهم إلى الإسلام.

لقد رأى النبيُّ ﷺ في شخصِ أبي ذر أماراتِ الرجولةِ والشجاعةِ والشهامةِ ، والاندفاعَ الجريءَ، والغيرةَ المفرطة لدينِهِ، والحماسَ اللاهبَ لرسولِهِ وإخوانِهِ، فخشيَ عليه من أذى قريشٍ وتعذيبها واضطهادها أن يصيبَهُ منها ما أصابَ غيرَه من إخوانِهِ المؤمنين، ولا سيما أنه لا يفتأُ يتحداهم ، ويهزأ بمعبوداتِهم ، ويعيبُ دينَهم، ويسفهُ أحلامهم، ويَسْخَرُ من معتقداتِهم لذلك خشيَ النبيُّﷺ أن يقودَهُ حماسُهُ إلى التهلكةِ، والإسلامُ لا يزالُ غضاً ليناً،لا يستطيعُ أن يدافعَ عنِ المستضعفين، أو يردَّ عنهم كيدَ المشركين وأذاهم.

كما أن المسلمين كانوا قلّةً ، لا يشكلون عدداً ، ولا يملكون سلاحاً، ومع ذلك طلبوا من رسول الله ﷺ أن يأذنَ لهم بالقتالِ ، فقالوا له يومَ العقبةِ:

واللهِ الذي بعثك بالحق إن شئتَ لنميلنّ على أهلِ منىً غداً بأسيافِنا ؟ فقال لهم رسولُ الله ﷺ : (لم نؤمَر بقتالٍ)

ذلك أن القتالَ كان وقتئذٍ محرماً بنصّ قوله تعالى :

[ألم ترَ إلى الذين قيل لهم كفوا أيديَكم وأقيمـــوا الصـــلاةَ وآتوا الزكاةَ فلما كُتِبَ عليهمُ القتالُ إذا فريقٌ منهم يخشـــون الناسَ كخشيةِ الله أو أشدَّ خشيةً] صدق الله العظيم [٩]

فقد حرم اللهُ تعالى عليهمُ القتالَ رحمةً بهم، وشفقةً عليـــهم لقلةِ عددهم، وعدمِ توفرِ السلاحِ اللازم للقتال.

من أجل هذا وذاك طلب النبي ﷺ من أبي ذر أن يذهبَ إلى قومِهِ ليكونَ داعيةً إلى الله ورسولِهِ ، وليحاولَ ما اســتطاع أن يؤثرَ في نفوسِ رجالِ قبيلةِ غفـــار، وأن يدخـــلَ إلى قلوبـــهم فيحوّلَها من البطشِ والقسوةِ، والظلمِ والسطوِ ، وقطعِ الطريقِ، وإخافةِ المارّةِ، إلى الرقةِ والرحمةِ والتسامحِ والإحسانِ، وإغاثـــةِ الملهوفِ، ونصرةِ المظلومِ فليحاولْ أبـــو ذر إذن أن يســتميلَ قلوبَ هؤلاءِ القومِ، من السطو غيرِ المشروعِ، والتحالف مـــع الشرِ وإخوانِهِ، إلى التسامحِ والكسبِ الحلال، والانتســـاب إلى زمرةِ المؤمنين الذين لا يعرفُ الشرُّ إلى قلوبـــهم ســـبيلاً، وأن يهديَ اللهُ على يديهِ رجلاً واحداً خيرٌ له من الدنيا وما فيـــها، ذلك أن الله تعالى يقولُ في كتابهِ العزيز :

---

[٩] الآية ٧٧ من سورة النساء .

[ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى اللهِ وعمِلَ صالحاً وقال إنـــني من المسلمين] [1]

[ومن أحسنُ ديناً ممن أسلم وجهَهُ لله وهو محسن واتبع ملـةَ إبراهيمَ حنيفاً واتخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً] [2]

(إسلامُ غِفارٍ وأسلمَ)

ويعودُ أبو ذر إلى قومِهِ يدعوهم إلى الله ورسولِهِ، ويحدثُـــهم عن النبي ﷺ وطَبيعة دعوتِهِ، وأنه إنما جـــاء ليتمِـــمَ مكـــارمَ الأخلاقِ التي عُرِفَ بها الإنسانُ العربيُّ، وأصبحَتْ علماً لــــه، وصفةً نبيلةً من صفاتِهِ، وأنه يدعو إلى عبادةِ الله وحدَهُ، ونبـــذِ عبادةِ الأصنامِ التي لا تضرُ ولا تنفعُ ، ولا تبصرُ ولا تسمعُ .

ويَقولُ : إن هذه الأصنامَ لغوٌ باطلٌ نحتها الإنسانُ بيـــدهِ ثم أرغم أنفَهُ وجبهتَهُ بالسجودِ لها، فإذا جاع ولم يجـــدِ الطعـــامَ أكلها ..!!

إن هذا لشيءٌ عُجابٌ.

---

(1) الآية ٣٣ من سورة فصلت .

(2) الآية ١٢٥ من سورة النساء.

لقد التزم أبو ذر في دعوتهِ منهجَ رسول الله ﷺ ، والـــتزمَ بأدبِ الإسلامِ ، فبدأ أولاً بدعوة أهلهِ وذوي قرابتِهِ ، عمـــلاً بقولهَ تعالى : [وأنذِرْ عشيرتَك الأقربين][9] .

يقولُ أبو ذرٍ ﷺ : فقدمتُ على أخي فأخبرتُهُ أني أسـلمتُ، قال : فإني على دينكَ .

فانطلقنا إلى أمِنا ، فقالت : إني على دينكما.

فأتيتُ قومي فدعوتُهم ، فتبعني بعضُهم.

و لم تقِفْ دعوةُ أبي ذرٍ عند قبيلتِهِ غِفارٍ، بلِ انتقل إلى قبيلـــةِ أسلم يدعوها إلى اللهِ الواحدِ القهارِ، ويوقِدُ مصـــابيحَ الهـــدى والإيمان بين أهلِها .

ولقد كان أبو ذرٍ ﷺ موفقاً في دعوتِهِ حيثُ استجاب لــــه أفرادُ القبيلتين جميعاً، وبعد هجرة النبي ﷺ ، وانقضاءِ غـــزوةِ بدر، وأحدٍ ، والخندق.جاء أبو ذرٍ إلى المدينةِ المنورةَ علـى رأسِ قبيلتَين مسلمتين، هما غِفارُ وأسلمُ جاءوا مسلمين جميعـــاً... رجالاً ونساءً، شيوخاً وأطفالاً وشباباً، قد تحولَتْ قلوبُهم مـــن القسوةِ إلى اللين، ومن الظلمِ إلى الرحمةِ، ومن السطوِ والنـــهبِ وقطعِ الطريقِ، إلى السلمِ والموادعةِ والتضامنِ والإخاءِ.

---

[9] الآية ٢١٤ من سورة الشعراء.

ومن عبادةِ الأصنامِ إلى عبادة الله وحدهُ لا شريك له.

ويقفُ الرسولُ ﷺ مدهوشاً ينظرُ بعجبٍ إلى أفرادِ تلكُم القبيلتين، ويثني عليهم، ويدعو لهم بقوله:

(غِفارُ غفر اللهُ لها ، وأسلمُ سالمها اللهُ) .

فهنيئاً لهم إسلامهُمُ ، هنيئاً لهم إيمانهم، وهنيئاً لهم مقْدمُهم على رسولِ الله ﷺ ، وهنيئاً لهم هذه الدعوةُ المباركةُ التي هي خيرٌ لهم مما طلعَتْ عليه الشمسُ.

بل خيرٌ لهم من الدنيا وما فيها .

ويحولُ النبيُّ الكريمُ ﷺ وجهَهُ جهةَ أبي ذرٍ، وينظرُ إليه ليقلِدَه أو سمةَ الشرفِ والتكريمِ إلى يومِ القيامةِ ، قائلاً:

(ما أقلَتِ الغبراءُ، ولا أظلّتِ الخضراءُ أصدقَ لهجةً من أبي ذرٍ)

صدقتَ يا سيدي يا رسولَ اللهِ، ولسوف تنبئُ لنا هذه الكلمات الرائعة عن صدق لهجتِهِ وصراحتهِ، وقوةِ إيمانهِ وعمقِ يقينهِ ما يجعلُهُ قدوةً صالحةً، وأسوةً حسنة، وزعيماً سياسياً ومفكراً إسلامياً، ومصلحاً اجتماعياً يناهضُ الشرَّ، ويقاومُ المنكرَ ، ويعادي الثروةَ، ويرفعُ لواءَ المعارضة، يقولُ كلمة الحق في الموقفِ الذي يجبُ أن تقال فيه ولسوف تبقى مواقفُهُ الثابتةُ

والشجاعةُ والجريئةُ خالدةً إلى يوم القيامةِ تعطي دروساً رائعةً في التضحيةِ والفداءِ ، والثباتِ على الموقفِ والمبدأ، ولسوف يظلُّ أبو ذر حياً في نفوسِ محبيهِ،والمعجبين بصراحتِهِ ووضوحهِ وليكونَ قدوةً وأستاذاً ومعلماً ومرشداً وموجهاً ومُلْهَماً تخرج من مدرسةِ النبوة، ونهل من معينها الصافي العذب،ما لو وردَتْ عليه أمةٌ بكاملِها لأصدَرَها وما غاض معينُهُ ، وما قَلَّ وما ضنَ، فهو واحدٌ من الذين قيل فيهم [1]:(وجدتُ أصحابَ محمدٍ ﷺ مثلَ الإخاذ يُروي الواحدُ ، والإخاذ يروي الاثنين ، والإخاذ لو وردَ عليه الناسُ أجمعون لأصدَرَهم.

وإن عبدَ الله بنَ مسعودٍ من تلك الإخاذ.

ونحنُ نقولُ: وإن أبا ذرٍ واحدٌ من تلك الإخاذ.

والإخاذُ: جمع إخاذة وهو الموضعُ الذي يُحبَسُ فيه الماءُ، كالغدير.

(مكانتُهُ العلمية)

لقد لازم أبو ذر رضي الله عنه النبيَّ ﷺ ، وأخذ عنه العلم والفقه والحديثَ حتى غدا واحداً من علماءِ الصحبِ الكرامِ الذين

---

[1] والقائل : مسروق.

تفجر العلمُ من جوانبهم ، ونطقتِ الحكمةُ على ألسنتِهم، وكمنَ الورعُ في قلوبهم، وسكنتِ السكينةُ في صدورِهم، أبرُ الناسِ قلوباً، وأغزرهم علماً، وأقلُّهم تكلفاً ، وهم الذين قالَ الله عز وجل فيهم : [محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداءُ على الكفارِ رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من اللهِ ورضواناً سيماهم في وجوهِهم من أثرِ السجود ذلك مَثَلُهم في التوراة ومَثَلُهم في الإنجيلِ كزرعٍ أخرج شطأَه فآزَرَهُ فاستغلظَ فاستوى على سوقِهِ يُعجبُ الزُّراعَ ليغيظَ بهمُ الكفارَ وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ منهم مغفرةً وأجراً عظيماً] (1) صدق الله العظيم .

ولعل أهمَّ ما سمع من النبي ﷺ تلك الوصيةُ الجامعة التي أخذها أبو ذرٍ وعمل بها ، وأثرت في نفسهِ تأثيراً عميقاً ، ثم أخذ ينشرُها بين المسلمين، ويحثُهم على العملِ بها فيقولُ :

أوصاني خليلي ﷺ بأربعِ كلماتٍ هُنَّ أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها ، قال لي :

---

(1) الآية ٢٩ من سورة الفتح.

(يا أبا ذر، أحكم السفينةَ فإن البحرَ عميقٌ، واستكثر الـزادَ فإن السفرَ طويلٌ، وخفّفْ ظهركَ فإن العقبةَ كؤودٌ ، وأخلِـصِ العملَ فإن الناقدَ بصيرٌ) [1]

وصيةٌ ، وأيُّ وصيةٍ ...!!

إنها تدعو إلى أهمّ أسبابِ الهدى والصلاحِ، والخيرِ والفـلاحِ والنجاحِ في الدنيا والآخرةِ .

ولعلَّ هذه الوصيةَ مأخوذةٌ من معنى قولِ الله تبارك وتعالى:

[وتزودوا فإن خيرَ الزادِ التقوى واتقونِ يا أولي الألبابِ][2]

ولقد تمسك أبو ذرٍ ﷺ بهذه الوصية، وعمل بهـا ظـاهراً وباطناً حتى أصبح من الزهادِ المشهورين، والعلمـاء العـاملين الذين أبغضوا الدنيا وحاربوها ، ولم تشغلْهم زينتُها وزخارفُها، ووقفوا أنفسَهم للوعظِ والإرشادِ، والتذكيرِ بالله تعالى والـدارِ الآخرةِ، والتحذيرِ من الركونِ إلى الدنيا و حطامِها لأنها نعيـمٌ زائلٌ، والحثِ على العملِ للآخرةِ لأنها النعيمُ الدائمُ الخـالدُ ، عملاً بقوله تعالى:

---

[1] رواه المقدسي .

[2] الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

[أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرةِ فما متاعُ الحياةِ الدنيـــا في الآخرةِ إلا قليلٌ] (1)

يحدثنا سفيانُ الثوريُّ فيقولُ:

قام أبو ذرٍ الغفاريُّ عند الكعبةِ فقال : يا أيها الناسُ ، أنــــا جندبٌ الغفاريُّ ، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق.

فاكتنفهُ الناسُ ، فقالَ : أ رأيتم لو أن أحدَكم أراد ســــفراً أليس يتخذُ من الزادِ ما يصلحُهُ ويبلّغهُ ؟

قالوا : بلى .

قال : فإن سفرَ طريقِ القيامةِ أبعدُ ما تريدون " فخذوا مــــا يُصلِحكُمُ ".

قالوا : وما يُصلحُنا ؟

قال : حجوا حجةً لعظائمِ الأمورِ ، وصوموا يوماً شــــديداً حرُّهُ لطولِ يومِ النشورِ، وصلُّوا ركعتين في سوادِ الليلِ لوحشَــةِ القبورِ.

كلمةُ خيرٍ نقولُها ، أو كلمةُ شرٍ نسكتُ عنها لوقوفِ يــومٍ عظيمٍ.

---

(1) الآية ٣٨ من سورة التوبة .

تصدَّقْ بمالِكَ لعلك تنجو من عسـيرِها ، اجعـلِ الدنيـا مجلسين: مجلساً في طلبِ الحلالِ ، ومجلساً في طلبِ الآخرةِ.
الثالثُ يضرُك ولا ينفعُك لا تردّه.
اجعلِ المالَ درهمين: درهماً تنفقُهُ على عيالِك من حِلّـهِ [1] ، ودرهماً تقدمُهُ لآخرتكَ ،الثالث يضرُك ولا ينفعُك لا ترده.
ثم نادى بأعلى صوتِهِ: يا أيها الناسُ ، قد قتلكم حـرصٌ لا تدركونه أبداً [2] .

(من مواقفه في الزهد)

لقد رفع أبو ذر ﷺ لواءَ الزهدِ، وعزف عن الدنيا وشهواتِها ومضى يصومُ النهارَ، ويقومُ الليلَ ، ولكنّ صومَهُ وقيامَهُ لم يثنيا من عزيمتهِ ولم يثبطا من همتهِ من القيام بواجبـهِ كمجـاهدٍ في سبيلِ اللهِ، فغدا فارسَ النهارِ، وراهبَ الليلِ، وأصبح لا يـأكلُ إلا الطعامَ الجشبَ [3]،ولا يرتدي إلا الملبسَ الخشنَ،ولو أحـبَّ

---

[1] من حِلِهِ: أي من حلالِهِ .

[2] ويروى أن أول الحديث إلى قولِهِ وصلوا ركعتين في سـواد الليـل الخ ... يُنسـبُ إلى أبي الدرداء ﷺ .

[3] طعام جشْب : بلا إدام

أن يتناولَ ما لذّ وطاب من الأطعمةِ ، أو يرتديَ ما رقّ وحَسُنَ من الثياب لفعلَ، ولكنه عزف عن كل هذا ، وآثـــر الفقــرَ والفاقةَ والقلةَ والجوعَ تضامناً مع إخوانهِ الفقراء من المسلمين.

ذلك أنه سمع النبيَّ ﷺ يوماً يقولُ: (يجمعُ اللهُ عــز وجــلَ الناسَ للحساب، فيجيءُ فقراءُ المؤمنين يَزفّــون كمــا تــزِفُّ الحمامُ.

فيقالُ لهم: قفوا للحساب.

فيقولون: ما كان لنا شيءٌ نُحاسَبُ عليه.

فيقول الله عز وجل : صدق عبادي، فيدخلون الجنةَ قبـــل الناسِ).

وفي مجلسٍ آخر ضمَّهُ مع النبي ﷺ،فسمعه يقول:(كيف أنتم يومَ يغدو أحدُكم في حلةٍ،ويروحُ في أخرى،وتوضَعُ بين يديـــه قصعةٌ،وترفعُ أخرى،وسترتم بيوتكم كما تُسترُ الكعبةُ...؟...!

فقالتِ الصحابةُ رضي الله عنهم: وددْنا أن ذلك يكـــونُ يـــا رسولَ الله، فنصيب الرخاءَ والعيشَ .

فأجابهَمُ النبيُّ الكريمُ ﷺ قائلا:

إن ذلك لكائنٌ، وأنتم اليومَ خيرٌ منكم يومئذٍ.

ولقد ربط أبو ذرٍ ﷺ قولَ النبي ﷺ بالآيةِ الكريمــة : [ثم

لَتُسئلُنَّ يومئذٍ عنِ النعيمِ] [1]

و بالآيةِ الأخرى :

[أذهبتم طيباتكم في حياتِكُمُ الدنيا واستمتعتم بها فـــاليوم تُجزونَ عذابَ الهُونِ بما كنتم تستكبرون في الأرضِ بغيرِ الحـــقِ وبما كنتم تفسُقون] [2]

فكان من الطبيعي وهو يسمعُ هذا الكلامَ ويردّده أن يــزدادَ إقبالاً على الزهدِ، هرباً من النعيم، خوفاً من أن يقـــالَ لــه: أذهبتم طيباتِكم في حياتِكُمُ الدنيا ... الخ ، لم يزهدْ أبــوذرٍ في الدنيا عن فقرٍ وإملاق ... لا فقد كان غنياً .

ولم يدَعْ ما لذَّ وطابَ من الأطعمــةِ، ولم يــتركْ مــا رَقَّ وحَسُنَ من الثياب عن حاجةٍ وقلةِ ذاتِ يدٍ... لم يفعلْ ذلــك عن حرمانٍ وخصاصةٍ، بل فعله زهداً وورعاً وترفعاً عن الدنيــا وزينتها ، وتأسّياً بأستاذه ومعلمِهِ ، بل بأستاذِ البشريةِ ومعلِمـها ومرشِدِها رسولِ الله ﷺ الذي عُرِضَتْ عليه بطحاءُ مكةَ ذهبــاً وفضةً، فنظر إلى جبريلَ عليه السلام فقال :

---

[1] الآية ٨ من سورة التكاثر.

[2] الآية ٢٠ من سورة الأحقاف .

يا جبريلُ، إن الدنيا دارُ مَنْ لا دارَ له، ومالُ من لا مالَ لـه، يجمعُها مَنْ لا عقل له.

فقال له جبريلُ عليه السلام : ثبتَكَ اللهُ بالقولِ الثابتِ) [1]

(أقوالُهُ في الزهد)

عن عطاءِ بنِ محمدٍ قال : قال إبراهيمُ التميميُّ : قال أبي:

خرجنا حجاجاً فوجدنا أبا ذر بـالربذة قائمـاً يصلـي، فانتظرناه حتى فرغ من صلاتِهِ، ثمَّ أقبلَ علينا بوجهِهِ فقال :

هلمَّ إلى الأخِ الناصحِ الشفيقِ، ثم بكى فاشتدَّ بكاؤُهُ وقـال: قتلني حبُّ يومٍ لا أدركُهُ.

قيل : وما يومٌ لا تدركُهُ ؟

قال : طولُ الأمل .

وقال : يكفي من الدعاءِ مع البرِ، ما يكفي الطعامَ من الملحِ.

وقال أيضاً :

إني لأقربُكم مجلساً من رسولِ الله ﷺ يومَ القيامةِ وذلـك أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ:

---

[1] شرح البردة للباجوري .

(إن أقربَكم مني مجلساً يومَ القيامةِ، من خرج من الدنيا كهيئةِ ما تركتُهُ فيها)، وإنه واللهِ ، ما منكم من أحدٍ إلا وقد تشبَّثَ بشيءٍ منها، غيري .[1]

أي : أنه ليس في قلبهِ شيءٌ من حبِ الدنيا ، ولا مالَ إليها، وما تعلّق قلبُهُ بشيءٍ منها.

وصدق أبو ذر ﷺ فقد خرج من الدنيا لا له ، ولا عليه بل وليس معه درهمٌ واحدٌ.

وعن أبي السليلِ قال : جاءت ابنةُ أبي ذرٍ وعليها صوفٌ ، سعفاءَ [2] الخدينِ، ومعها قفةٌ لها فمكثَتْ بين يديه وعنده أصحابُهُ فقالت :

يا أبتاه،زعم الخازنون والزارعون أن أفلُسَك هذه بهرجةٌ..!!

فقال : يا بنيةُ ، ضعيها فإن أباكِ أصبح بحمدِ اللهِ لا يملكُ من صفراءَ ولا بيضاء إلا أفلُسهُ هذه .

وعن نافعٍ الطاحي قال : مررتُ بأبي ذر فقال لي:ممن أنتَ؟

قلتُ: من أهلِ العراق.

قال : أتعرفُ عبدَ اللهِ بن عامرٍ ؟

---

[1] صفة الصفوة .

[2] سعفاء الخدينِ : سوداؤهما من حرِ الشمسِ.

قلتُ: نعم.

قال: فإنه كان يتقرأُ [١]معي ويلزمني ، ثم طلب الإمـــارةَ ، فإذا قدمتَ البصرةَ فترايَ [٢] له، فإنه سيقولُ لك حاجةً، فقــلْ له: أخلني ، وقل له: أنا رسولُ أبي ذرٍ إليك وهـــو يقرئُــكَ السلامَ ويقولُ لك !: إنا نأكُل من التمرِ، ونشربُ من المـــاءِ، ونعيش كما تعيشُ.

فلما قدمتُ تراءيتُ له فقال: ألك حاجةٌ ؟

فقلتُ : أخلِني أصلحك الله ، فقلتُ : أنـــا رســولُ أبي ذرٍ إليك وهو يقول لك : إنا نأكلُ من التمرِ، ونشربُ من المـــاءِ، ونعيشُ كما تعيشُ .

قال : فحلَّ إزارَه ثم أدخل رأسَهُ في جيبهِ ثم بكى حتى مــلأَ جيبَهُ بالبكاء .

وعن أبي بكر بنِ المنكدر قال : بعث حبيبُ بنُ مسلمةَ وهو أميرٌ بالشامِ إلى أبي ذرٍ بثلاثمئةِ دينارٍ وقال : استعِنْ بهـــا علـــى حاجتِكَ .

---

[١] يتقرأ: يتفقه.

[٢] ترايا : هي تراءى أي ظهر أمامه وقابله.

فقال أبو ذر : ارجعْ بها إليه ، أو ما وَجَد أحداً أغرَّ بالله عز وجل منا ؟ ما لنا إلا ظلٌّ نتوارى به، وثَلَّةٌ [1] من غنمٍ تروحُ علينا ، ومولاةٌ لنا تصدقَتْ علينا بخدمتِها ، ثم إني لأتخوّفُ الفضل. [2]

وعن جعفر بنِ سليمانَ قال: دخل رجلٌ على أبي ذرٍ فجعل يقلبُ بصَرهُ في بيتِهِ، فقال : يا أبا ذرٍ، أين متاعُكم ؟

قال : لنا بيتٌ نوجّه إليه صالحَ متاعِنا .

قال : إنه لا بد لك من متاعٍ ما دمتَ ههنا .

قال : إن صاحبَ المنزلِ لا يدعُنا فيه .

وقال أبو ذرٍ لبعضِ أصحابه: والله لو تعلمون ما أعلمُ ما انبسطتم إلى نسائِكم ، ولا تقاررتم على فرشِكم .

والله لوددْتُ أن الله عز وجلَّ خلقني يوم خلقني شجرةً تعضَدُ [3] ويؤكل ثمرُها .

ومن أقوالِهِ في النصحِ وحُسنِ المصاحبةِ، وعدم ظن السوء :

---

[1] الثلّة بفتح الثاء واللام: جماعة الغنم ، وبضمها : جماعة الناس .

[2] الفضل : الزيادة .

[3] تعضد : تقطع .

الصاحبُ الصالحُ خيرٌ من الوحدةِ ، والوحدةُ خيرٌ من صاحبِ السوءِ ، ومملي الخير خيرٌ من الصامتِ ، والصامتُ خيرٌ من مملي الشرِ ، والأمانةُ خيرٌ من الخاتم ، والخاتمُ خيرٌ من ظنِّ السوءِ .

(ثناء الرسول ﷺ)
(على أبي ذرٍ)

لا زم أبو ذر رسولَ اللهِ ﷺ وتخلّق بأخلاقِه، واكتسب منه الحلمَ والعلمَ والتواضعَ والصدقَ والصراحةَ والإخلاصَ وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة ، والمزايا الحسنةِ .

ولقد قرأ النبي ﷺ أفكارَ أبي ذرٍ، وعرف ما في خفايا نفسهِ، وكأنه دخل إلى أعماقِهِ فاطّلع على سرِه وعلانيتهِ . وظاهره وباطنهِ، فراح يطلقُ إليه وصاياه ، ويزوده بنصائِحِهِ ، ويشبهه في زهدِهِ وورعِه ، وحِلمِهِ وتواضعِهِ بعيسى بنِ مريمَ عليه السلام ، فقال ﷺ :

[ما أظلّتِ الخضراءُ، ولا أقلّتِ الغبراءُ علـــــى ذي لهجـــةٍ أصدقَ من أبي ذر. من سَرَّه أن ينظرَ إلى تواضعِ عيسى بنِ مريمَ فلْينظُرْ إلى أبي ذرٍ] [1]

وفي روايةٍ أخرى :

من سَرَّه أن ينظرَ إلى زهدِ عيسى بنِ مريمَ فلْينظر إلى أبي ذرٍ.

ولقد روي أن أبا ذرٍ كان يركبُ خلف النبي ﷺ على حمارٍ وعليه بردعةٌ أو قطيفةٌ .

لقيه النبيُّ ﷺ يوماً وذلك في بدءِ إسلامِهِ فقال له:أنت أبو نملة؟.

قال : أنا أبو ذرٍ .

قال : نعم أبو ذرٍ .

وإنها لمفخرةٌ عظيمةٌ لأبي ذر ﷺ أن يشبهَهُ النبيُّ ﷺ بنبيٍّ مـــن أولي العزم ، وإنها لشهادة يفخرُ بها أبو ذرٍ ويعتزُ ويرفعُ رأسَـــهُ بها تيهاً وعزةً وإباءً، وشموخاً .

وإنها لشهادةٌ هو لها أهلٌ ، وبها جديرٌ، من سره أن ينظرَ إلى تواضعِ عيسى بن مريمَ فلينظر إلى أبي ذر.

من سَرَّه أن ينظرَ إلى زهد عيسى بنِ مريمَ فلْينظُرْ إلى أبي ذر.

ومرةً أخرى يوجهُ إليه النبيُّ ﷺ وصيةً ثانيةً.

---

[1] الحديث رواه ابن سعدٍ في طبقاتِهِ بألفاظٍ مختلفةٍ وروايات متعددةٍ .

يقولُ أبو ذرٍ : أوصاني خليلي بسبعٍ :

أمرني بحب المساكين والدنوِ منهم ، وأمرني أن أنظرَ إلى من هو دوني ولا أنظرَ إلى من هو فوقي.

وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً ، وأمرني أن أصلَ الرحمَ وإن أدبَرتْ وأمرني أن لا أخاف من الحق وإن كان مراً .

وأمرني أن لا أخافَ في الله لومةَ لائمٍ.

وأمرني أن أكثِرَ من قولِ لاَ حولَ ولاَ قوةَ إلا باللهِ، فإنهن من كنــز تحت العرشِ.

وقال أبو ذر ﷺ :

ما زال لي الأمرُ بالمعروفِ ، والنهيُ عن المنكرِ حتى ما تــرك لي الحقُ صديقاً.

وتتكررُ وصايا النبي ﷺ لأبي ذر فكانت تدخـــلُ إلى قلبـــهِ فتلامِسُ شغافَهُ، وتحركُ أحاسيسَهُ ليكون في كل لحظـــةٍ مـــن لحظاتِ حياتِهِ، وفي كلِ خفقةٍ من خفقاتِ قلبـــهِ ، وفي كـــلِ خلجةٍ من خلجاتِ نفسهِ، أو طرفةِ عين يطرفُ بها.

ليكون في جميع أحوالِهِ حركةً وسكوناً ، إشادةً ونطقاً ،قلْبــاً وقالباً ، ظاهراً وباطناً مع رسولِ الله ﷺ يعيشُ معه، ويرافقُـــهُ ويأخذُ منه النصائحَ والوصايا .

فلقد قال له النبي ﷺ يوماً :

يا أبا ذر ، إني أراك ضعيفاً ، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي لا تأمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تَولَّينَ مالَ يتيم .

ولقد تسرّع أبو ذر يوماً ، وحدثتْ منه هفوةٌ، وانزلق لسانُهُ فسألَ النبيَّ ﷺ الإمارةَ ، فعل ذلك ولعلّه كان لا يعي ما يقولُ، بل لقد دُهِشَ هو نفسُهُ من هذا السؤالِ .

إنه يكرَهُ الإمارةَ وله مع الأمراءِ مواقف وخلافاتٌ كما سنذكرُها إن شاء الله تعالى.

إنه يكرهُ الإمارةَ ولا يحبُها لأحدٍ، ولكن كيف سألها من النبي ﷺ لنفسه؟ هذا ما لم يجدْ أبو ذرٍ له جواباً ، وجعله في حيرةٍ ودهشةٍ واستغرابٍ من أمرِه.

روى ابنُ سعدٍ بسندِهِ عن الحارثِ بن يزيدَ الحضرمي أن أبا ذرٍ سأل رسولَ الله ﷺ الإمارةَ فقال له :

إنك ضعيفٌ ، وإنها أمانةٌ، وإنها يوم القيامةِ خزيٌّ وندامةٌ إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه منها.

وقد روي عن أحدِ معاصريه أنه قال :

صليتُ مع أبي ذرٍ في بيتِ المقدسِ .... إلى أن قال :

فلو جُمِعَ ما في بيتِهِ لكان رداءُ رجلٍ أفضلَ من جميعِ ما في بيتِهِ.

قال جعفرٌ: فذكرتُ هذا الحديثَ لمهرانَ بنِ ميمونَ فقال: ما أراه كان ما في بيتِهِ يساوي درهمين .

فكيف يمكنُ لنفسٍ تحملُ هذا الزهدَ والورعَ والتواضعَ أن تميلَ إلى الإمارةِ، أو تطلبَها ؟ أو حتى تفكرَ مجردَ تفكيرٍ فيها..؟..!!

وهو الذي عاداها ، ووقف منها موقفَ المعارضِ المخاصِمِ.

موقفُهُ من الإمارةِ

لعلّ أبا ذرٍ ﷺ كان مغالياً بعضَ الشيءِ في موقِفِهِ من الإمارةِ وخصامِهِ لبعضِ الأمراءِ، وقد يصلُ به الأمرُ إلى بغضِهم ومعاداتِهِم، ومع ذلك فإنّ له موقفَهُ وفلسفتَهُ حول هذا الأمر .

إن إحساسَهُ المرهفَ ، وطبيعتَهُ الجياشةَ ، وزهدَهُ المفرطَ وورعَهُ الصادقَ ، هذه الصفاتُ الإيجابيةُ مجتمعةً كوَّنَتْ لديه قناعةً خاصةً وشكلت عنده موقفاً معيناً من الإمارةِ والأمراءِ، فهو رجلٌ بدويٌ كان يعيش في الصحراء ، فرأى الشيوعَ في كُلِ شيء ، ورأى الناسَ يشتركون في كلِ شيءٍ... في الأرضِ في الماء... في الكلأ ، فخيرات الأرضِ التي ذرأها الله تعالى ، وبثها في كلِ مكانٍ جعلها للناس جميعاً ، وجعل حقوقَهم فيها

متكافئةً ومتساويةً لا يعتدي أحدٌ منهم على حـــقِ أحـــدٍ، ولا يستأثرُ فيها جماعةٌ دون أخرى.

فهم يسوقون إبلَهُم وشياهَهُم إلى المراعي ويشتركون جميعـــاً في خيراتِ الأرضِ... في رعي العشبِ والكلأ ، وفي شـــــربِ الماءِ وغير ذلك .

وحين انتقل إلى المدينة ، يعني أنه تحولَ من حيـــاةِ البـــداوةِ السهلةِ والعفويةِ البسيطةِ إلى حياةِ المدينةِ والحضــــارةِ، فـــرأى الاختلافَ في أنماط الحياة اختلافاً واضحاً، وكبـــيراً ، فنتــاجُ الأرضِ، والإبلِ والشياه شاهده يباعُ في سوقِ المدينةِ ، وهـــذا شيء لم يعهَدْهُ، ولم يألفْهُ في حياةِ البداوة، لذلك رأى انقلابـــاً سريعاً ومفاجئاً ، وشاهدَ تغييراً كبيراً في أنماطِ حيـــاةِ المدينـــةِ بالنسبةِ إلى حياةِ البداوة حيث لا لبنَ يباعُ .ولا سمنَ، ولا تمـــرَ، ولا عنبَ ، ولا غيرَ ذلك ، إنما كان التعاونُ والتبادل في السلـعِ هو المظهر الشائع والمنتشر بين الناس .

فحين خرج أبو ذرٍ إلى هذا الوجود، وفتح عينيه على الحياة، وشبَّ وترعرعَ على ظهرِ هذه الأرضِ ، رأى هذا النوعَ مـــنَ التعاملِ والتعاونِ بين أفرادِ قبيلتِهِ، وغيرِها من القبائل العربيةِ التي انتقل إليها وتعاملَ معها .

ولم يكدْ يتحولُ إلى المدينةِ حتى رأى الفارقَ بين الحيـــاتيْن كبيراً ومذهلاً . فكان من الطبيعي أن يراه كذلك .

كما أنه لا زم النبي ﷺ طويلاً ، فتأثر بأخلاقِهِ وســـلوكِهِ، وزهدِهِ وعفتهِ، وبعدِهِ عن زينةِ الحياة الدنيا وزخارفها، وهـــو الذي كان يرى الأموالَ تتراكمُ أمامَهُ كالتلالِ ، فلم ينظر إليها ولم يغترَّ بها ،ولم يضعُف أمامَها ، ولو مال إليها ، أو أرادهـــا لكان أغنى رجلٍ في العالم.

فكان أبو ذرٍ ﷺ يرى ذلك من النبي ﷺ ، ويدركُ حقيقــةَ هذه الشخصيةِ الفذة العظيمةِ، كان يرى المالَ يأتيه فلم يبــتْ حتى يفرّقَهُ كلَّهُ ولم يترك لنفسهِ منه درهماً واحداً ويبقى أيامـــاً وأياماً طاوياً .

كان أبو ذرٍ ﷺ يدركُ كلَّ هذا عن صاحِبهِ ومعلمِـــهِ ﷺ ، ويعلمُ أنه حينَ أدركتْهُ الوفاةُ كان عليه دينٌ لرجلٍ من اليــهود، مات النبيُّ ﷺ ودرعُهُ مرهونةٌ على صاع من شـــعير لرجـــلٍ يهودي .

لذلك واقتداءً برسولِهِ ومعلمه ﷺ لم يكن للمالِ قيمة عنده، فلو كان للمالِ قيمةٌ لاستأثرَ به النبي ﷺ ومالَ إليـــه وجمعَـــهُ وجعله الأولَ والآخرَ والظاهرَ والباطنَ وحين لم يفعلَ النـــبيُّ ﷺ

ذلك ، ولم يهتمَّ بالمالِ ، كان من الطبيعي أن يكونَ أبـــو ذرٍ كذلك .

وتطولُ الحياةُ بأبي ذرٍ ويدركُ خلافةَ الفاروقِ عمـــرَ ﷺ ، فلم يرَ فارقاً بينه أي بينَ عمرَ والنبي ﷺ الذي كان يحاســبُ الولاةَ والأمراءَ على تقصيرِهم، وعلى ما يملكون مـــن مـــالٍ ، ولقد شهد عمرَ يوماً يحاسبُ بعضَ الولاةِ، نذكر منهم علـــى سبيلِ المثالِ أبا هريرةَ صاحبَ رسولِ ﷺ .

يروى أن أبا هريرة تولّى إمارةَ البحرين ، فادّخرَ مالاً مـــن طرق حلال، فعلم عمرُ بذلك فاستدعاه إلى المدينةِ وهو يعلـــمُ أن أبا هريرةً لا يملكُ مالاً ، فمن أين جمع هذا المـــال؟ لا بـــد لعمر أن يحاسِبَهُ.

يقولُ أبو هريرة ﷺ : قال لي عمرُ : يا عـــدوَّ اللهِ وعـــدوَّ كتابِهِ أسرقتَ مالَ الله ...؟

قلتُ : ما أنا بعدوِ الله ولا عدوٌ لكتابِهِ، لكني عـــدوٌ مـــن عاداهما، ولا أنا من يسرقُ مالَ الله.

قال : فمن أين اجتمَعتْ لك عشرةُ آلاف ؟...!!

قلتُ : خيلٌ لي تناسلَتْ ، وعطايا تلاحقَتْ .

فقال عمرُ : فادفعْها إلى بيتِ مالِ المسلمين .

فدفع أبو هريرةَ المالَ إلى عمرَ ، ثم رفع يديــهِ إلى الســماءِ وقال :

اللهمَ اغفر لأميرِ المؤمنين.

هكذا كان أبو ذرٍ ﷺ يرى صرامةَ عمرَ وصراحَتهُ وموقفَــهُ من الولاةِ والأمراءِ.

وهكذا كان يــراه يحاسبُهم ، فــإن رأى من أحدٍ هفــوةً ، أو أمسك عليه غلطةً، فإنه لن يرحمَهُ أبداً، بل سيكونُ عقابُــه أليماً، فقد يضربُهُ أو يسجنهُ حتى يعيدَ ما أخــذه أو يصحــحَ غلطته، إضافةً إلى عزلِهِ عن الإمارةِ.

وحين فُتحتِ الدنيا على المسلمين ، وتراكمتِ الأموالُ بــين أيديهم، وأصبحَتْ حِكراً على فئةٍ معينةٍ من الناسِ استأثرت بها واستغلتها دون الفئاتِ الأخرى، وهو الذي يعلمُ أن النــاسَ متساوونَ في كلِ شيءٍ، كان هذا مــن وجهــةِ نظــرِ أبي ذرٍ خروجاً عن المألوفِ، وخرقاً لنا موسِ الطبيعةِ، وعــدولاً عــن الفطرةِ الإنسانيةِ النقيةِ.

فكان من الطبيعي أن يكوّنَ أبو ذرٍ هذه القناعة، وأن تتولــدَ في نفسهِ هذه الفلسفةُ، وبالتالي يتخذُ هذا الموقــفَ المعــاديَ للإمارةِ والأمراءِ لقد كان يرى الرجلَ لا يملكُ شيئاً من المــالِ،

فإذا أصبح أميراً ، رأى أنه يملك كلَّ شيءٍ، فمــــن أيــن إذن حصل على هذا المال...؟

وهو يدركُ تماماً أَن السماءَ لا تمطرُ ذهباً ولا فضةً ...؟..؟

كان أبو ذرٍ يخشى أن يتحولَ هذا المالُ من خــــادمٍ مطيــعٍ للإنسانِ ، إلى عدوٍّ ماكرٍ، وسيدٍ مستبدٍ.

نعم :.. لقد نادَت السَّيدةُ عائشةُ بهذا الكلامِ، وهتفَتْ بــه من قبلِ وهي زوجُ رسَولِ الله ﷺ التي تلقَّــــتْ عنــه الأدبَ والحكمةَ، والموعظةَ الحسنةَ ، تقولُ رضي الله عنها:

[أولُ بلاء حدث في هذه الأمةِ بعد نبيها الشبعُ، فإن القــومَ لما شبعَتْ بطونُهم ، سمنَتْ أبدانُهم، فضعُفَتْ قلوبهم، وجمحَتْ شهواتُهم]

وإذا ضعفتِ القلوبُ ، وجمحتِ الشهواتُ صارتِ النفــسُ نهباً للهوى، وطوعاً للشيطان، وموئلاً للشرِ والفساد.

ولذلك نرى أبا ذرٍ ﷺ تَجنبَ كثيراً من إخوانهِ الَذين تولّــوا الإمارات، وصار لديهم ثراءٌ واسعٌ، ومالٌ وافرٌ .

لقيه أَبو موسى الأشعريُّ يوماً ، وكان قــد تولّــى إمــارةَ البصرةِ ، ففتح ذراعيه وقال : مرحباً أبا ذرٍ ، مرحباً بأخي.

ولكَن أبا ذرٍ ﷺ دفعه عنه وقال : لستُ بأخيك، إنما كنــتُ

أخاك قبل أن تكونَ والياً وأميراً.

ولقيه أبو هريرةَ يوماً فاحتضنه مرحباً، فدفعه أبو ذر كذلك وقال له : إليك عني ، ألستَ الذي وُليتَ الإمارةَ ، فتطاولتَ في البنيان واتخذتَ لك ماشيةً وزرعاً...؟

وأخذَ أبو هريرةَ ﷺ يدافعُ عن نفسهِ، ويبحثُ عن الكلماتِ التي يبرئُ بها ساحتهُ.

ولكنّ أبا ذر قدِ اتخذ منه ومن غيره من الأمراءِ موقفاً لن يتغيرَ أبداً.

فهو الذي جعل من نفسهِ خصماً للإمارةِ، وعدواً للثروة، وسيبقى مصراً على موقفِهِ هذا ، ثابتاً على مبدئِهِ حتى يفارقَ الحياةَ.

لقد عُرِضَتْ عليه إمارةُ العراق، فرفضها وقال :

لا ... والله لن تميلوا عليَّ بدنياكم أبداً .

وما مثلُهُ في ذلك إلا كمثلِ صاحبِهِ ومعلمِهِ ﷺ حيث قال: (مالي وللدنيا ...؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظَلَّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها) .[١]

---

[١] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

رفض أبو ذر ﷺ الإمارةَ ولبث شامخاً عالياً يؤثرُ الفقرَ والقلةَ والحرمانَ ، ويفضّلُ الزهدَ والتواضعَ والفاقةَ ، محافظاً على العهد الذي قطعه على نفسهِ باتباع نبيّهِ في ترفعِهِ على زينةِ الحياةِ الدنيا، والبعدِ عن كلِ ما من شأنهِ أن يبطرَ النفسَ، ويقسيَ القلب، ويصرفَ الإنسانَ عن القيامِ بواجباتِهِ تجاه ربهِ، وتجاه نفسهِ ومجتمعِهِ.

ألمْ يقلْ له النبيُّ ﷺ يوماً عن الإمارةِ: إنها أمانةٌ ، وإنها يومَ القيامةِ خزيٌ وندامة ...؟

لذلك جعل هذه الوصيةَ مبدأً له في حياتِهِ، ومنهجاً عملياً لسلوكِهِ وتصرفاتِهِ .

(عداوه لأصحاب الثروة)

كما كان أبو ذرٍ ﷺ يبغضُ الإمارة ويعاديها ، كذلك كان يبغضُ الثروة ويعادي أصحابَها .

فحين رأى الثروة تتكدسُ بين أيدي فئةٍ معينةٍ من الناسِ، وقد أصبحوا من أثرياءِ العرب يملكون القصورَ والمزارع، ويتخذون لأنفسهِمُ الجواريَ والعبيدَ،حتى أصيبوا بتخمةِ الثراء. في الوقت الذي كان غيرُهم من المسلمين يتضورون جوعاً

وألماً ، ويقاسون ضنك الحياة، ومُرَّ العيشِ، وألَمَ الحرمـان ، ولا يجدون لقمةً يردون بها جوعَهم، أو يسكتون بها أطفالَهم، وهُمُ الذين جعلَ اللهُ عز وجل لهم في أموالِ الأغنياءِ نسبةً مقـدرةً أو حقاً معلوماً، قال الله تعالى :

[والذين في أموالِهِم حقٌ معلومٌ . للسائل والمحروم] [1]

والنبيُّ ﷺ يقول :

[ما آمن بي مَنْ بات شبعان وجارُه جائعٌ إلى جانبِـهِ وهـو يعلمُ به]

ذلك أن المالَ في الحقيقةِ لله تعالى ، والإنسانُ مستخلَفٌ فيه، قال تعالى : (وأنفقوا مما جعلكم مستخلَفين فيه]

فكان أبو ذر ﷺ يرى المالَ إما نقمةً على الإنسان، وإمـا نعمةً ، فإن أدّىً حقَهُ، كان له نعمةً، وإن بخل به و لم يؤدِ حقَهُ، كان عليه نقمةً والعياذُ بالله تعالى .

فحين رأى أبو ذرٍ طغيانَ المادةِ وتسـلُطَها علـى قلـوبِ البعضِ، وتحكُّم فئةٍ معينةٍ من الناسِ بالمالِ دون أخرى ، ثـارَ على هذا الوضع ، وناصبَهُ العداءَ، ورفعَ لواءَ المعارضـةِ ، وراح يحثُ الناسَ ويلهبُ حماسَهم علـى الثـورةِ ضـدَّ الأغنيـاءِ،

---

[1] الآيتان ٢٤-٢٥ من سورة المعارج .

والمستأثرين بالثروةِ الذين لا يؤدون حق اللهِ في أموالِهم، وأخذ يرددُ مقولتَهُ المشهورة:

[عجبتُ لمن لا يجدُ القوتَ في بيتِهِ كيف لا يخرجُ على الناسِ شاهراً سيفَهُ ...؟...!!] .

ويقول :

[بشرِ الكانزين الذين يكنزون الذهبَ والفضةَ بمكاوٍ من نارٍ تُكوى بها جباهُهم وجنوبُهم يومَ القيامة].

وراح يدورُ بين الناس ويلقي على أسماعِ الأغنياءِ وعيدَ الله تعالى لمن يكنزُ المالَ ولا يؤدي حقَ اللهِ ، وحق الفقراءِ فيه، فيقول : [والذينَ يكنزون الذهبَ والفضةَ ولا ينفقونَها في سبيلِ الله فبشرْهُم بعذابٍ أليم. يومَ يُحمى عليها في نارِ جهنمَ فتكوى بها جباهُهم وجنوبُهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون] [1]

رآه أحدُ أصحابِهِ يوماً يلبَسُ ثوباً قديماً ، فسأله قائلاً :

أليس لك ثوبٌ غيرُ هذا ؟.. لقد رأيتُ معك منذ أيامٍ ثوبين جديدين ...؟...!!

---

[1] الآيتان ٣٤-٣٥ من سورة التوبة .

فأجابه أبو ذرٍ : يا ابنَ أخي ، لقد أعطيتهُما من هو أحــوجُ إليهما مني.

قال الرجلُ:

والله إنك لمحتاجٌ إليهما .

فقال أبو ذر:

اللهم غفراً، إنك لمعظمٌ للدنيا ، ألستَ ترى علــــيَّ هـــذه البردةَ...؟ ولي أخرى لصلاةِ الجمعةِ، ولي عنــزةٌ أحلبُـــــها ، وأتانٌ أركبُها ...

فأيُّ نعمةٍ أفضلُ مما نحن فيه...؟

يقولُ عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ وهو يصفُ أبا ذر :

لم يبقَ اليومَ أحدٌ لا يباليً في الله لومةَ لائمٍ غير أبي ذرٍ.

ولقد طرح النبيُّ ﷺ عليه سؤالاً من قبل ، وهو يعرفُ مـــن هو أبو ذرٍ ، ويعرفُ صدقَهُ وصراحتهُ وغيرَتَـــهُ علـــى دينِـــهِ وإخوانهِ، وعداوتَهُ للثروةِ، وبغضَهُ للإمارةِ ،فقال له :

يا أبا ذرٍ، كيف أنــــتَ إذا أدركـــكَ أمـــراءُ يســـتأثرون بالفيء...؟

فأجاب أبو ذرٍ قائلاً:

إذن والذي بعثك بالحقِ، لأضربَنَّ بسيفي.

فقال له النبيُّ ﷺ : أفلا أدُلّكَ على خيرٍ من ذلك ؟
اصبرْ حتى تلقاني .
كانَ النبيُّ ﷺ ينظرُ بنورِ الله، ويعلمُ نفسيةَ أبي ذر، بل إنــه يعلمُ نفسيةَ تلميذِه وصدقهُ وصراحتَهُ وجرأته، ولقد كــان ﷺ يدركُ تماماً أن هذه الجرأةَ قد تقودُ تلميذَهُ إلى المتاعب.
من أجل هذا أمره بالتريثِ وعدمِ التهورِ، أو إيذاءِ أحدٍ مــن إخوانهِ المؤمنين وأوصاه قائلاً :
(اصبر حتى تلقاني).
ومرتِ الأيامُ بأبي ذر، ومضى عهدُ النبوةِ، وتــلاه عــهدُ الشيخين أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنــهما ، ليجــيءَ عــهدُ عثمانَ، فيستأثرَ بالحكم سراً وخفيةً ومن وراءِ عثمــانَ ﷺ ، بعضُ الانتهازيين من بني أميةَ باستخدامِ خاتمــهِ للوصــولِ إلى تحقيقِ أغراضِهِمُ الشخصية، وتنفيذِ مآربِهمُ الذاتيةِ، فأساءوا إلى عثمانَ، وتسببوا بالثورةِ عليه ، ومن ثمَّ بمقتلِهِ.
في هذا العهدِ ظهرت في الساحةِ الإســلاميةِ شــخصياتٌ استأثَرتْ بالمالِ والثروةِ على حسابِ غيرِها من ذوي القلــوبِ البيضاءِ الصافيةِ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ الذين لا يعبــؤون بالمالِ، ولا يكترثون بالثروةِ ولا يهتمون حتى بقوتِ يومِهِم.

كان أبو ذر يرى ما يحدث أمامه، ويدركُ ما نزل بأصحاب النبي ﷺ ، فيضغطُ على أسنانهِ، ويتنفسُ الصعداءَ، ويمدّ يدَه فيمسكُ بقبضةِ سيفِهِ لينتزعَهُ من غمدِه، وينقضَّ على الذين انحرفوا عن سنةِ النبي ﷺ فغيروا وبدّلوا ، وجعلوا الناسَ يهتمون بالمالِ ويجمعونه على حسابِ الآخرين .

ولكنه أعاد يدَه وأرسلها عن قبضةِ السيفِ، حين ذكر قولَ أستاذهِ محمدٍ ﷺ يومَ قال له :

(اصبر حتى تلقاني)

فلو أراد أبو ذر ﷺ أن يقودَ جماهيرَ الفقراءِ والمستضعفين إلى الثورة، لفعلَ، ولا لتفَّ حولَهُ عددٌ هائلٌ ممن نقم على ذلك الوضع وأحبَّ أن يتخلّصَ منه ويقضيَ عليه .

لو أراد أبو ذر أن يفعلَ ذلك لنجحَ، وأصبح بطلاً أسطورياً، ومصلحاً اجتماعياً ، وثائراً على أصحابِ الثرواتِ، وذوي الأموالِ من الطراز الأول بلا منازع .

ولكنه حين ذكر وصيةَ النبي ﷺ :

(اصبر حتى تلقاني)

أبطلَ لغةَ القتالِ، وضربِ السيفِ ، وتحول إلى لغةِ المنطقِ والحجةِ والإقناعِ.

ويكفيه فخراً أن اسمه دخل التاريخَ من أوسعِ أبوابــه، ودوّنَ في سجلِ الخالدين،وعلى رأسِ المصلحين الاجتمــاعيين عــبرَ التاريخ ليس في تاريخنا العربي المجيد فحسب، بل عبرَ التــاريخِ كلِهِ .

وإنها لمفخرةٌ عظيمةٌ لنا معشرَ المسلمين جميعــاً أن أبــا ذرٍ وغيرَه من المفكرين والمصلحــين الاجتمــاعيين، والثوريــين المسلمين قد دخلوا التاريخَ، بل أولُ من دخل التاريخَ، وتحدثَتْ عنْهمُ الأممُ.

واعتبروهم قديسين تفرُّ كلُ أسبابِ الإغراءِ أمام عزوفِــهم وصدقِهم وإخلاصِهم، وبعدهم عن كلِ ما منَ شأنهِ أن يعكــرَ صفاءَ نفوسِهم، وطهارةَ قلوبهم، وصدقَ ورعِهم، واســتقامةَ نهجهم وسلوكِهم.

ويكفيهم فخراً وفضلاً ورِفعةً لأقولُ الحقِ تبــارك وتعــالى فيهم:

[محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداءُ على الكفــارِ رُحمــاءُ بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضــلاً مــن الله ورضوانــاً سيماهم في وجوهِهم من أثرِ السجود ذلك مثلُهم في التــوراةِ ومثلُهم في الإنجيلِ كزرعٍ أخرج شطأَهُ فآزره فاستغلظ فاستوى

على سوقِهِ يعجبُ الزراعَ ليغيظَ بهمُ الكفارَ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ منهم مغفرةً وأجراً عظيماً].[1] صدق الله العظيم .

(أبو ذرٍ وبعض الصحابة)

ثار أبو ذرٍ ﷺ على الوضعِ الذي رآه قد تغيرَ وانحرف عما اعتاده وألفه في عهدِ النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما، ورأى حبَّ المالِ قد طغى على كلِ شيء، حتى أوشك الناسُ أن يقعدوا عن الجهادِ، ويبتعدوا عن حلقاتِ العلمِ، ويصرفوا جلَّ اهتمامِهم إلى المالِ والقصورِ والمزارعِ.

فساءه هذا الوضعُ، وتأمّلَ قولَ الله تبارك وتعالى : [زُيِّنَ للناسِ حبُ الشهواتِ من النساءِ والبنينَ والقناطيرِ المقنطرةِ من الذهبِ والفضةِ والخيلِ المسوَّمةِ والأنعامِ والحرثِ ذلك متاعُ الحياةَ الدنيا واللهُ عنده حسنُ المآب] [2]

ثم ذكر قولَ النبي ﷺ يومَ قال لهم :

[كيف أنتم يومَ يغدو أحدُكم في حُلّةٍ، ويروحُ في أخرى.

---

[1] الآية ٢٩ من سورة الفتح .

[2] الآية ١٤ من سورة آل عمران .

وتوضَعُ بين يديه قصعةٌ، وترفعُ أخرى، وسترتم بيوتكم كما تُستَرُ الكعبةُ ؟!

فأجابه الأصحابُ رضي الله عنهم :

ودِدْنا أن ذلك يكونُ يا رسولَ الله،فنصيب الرخاءَ والعيشَ.

فقَال لهم النبيُّ ﷺ : إن ذلك لكائنٌ ، وأنتمُ اليومَ خيرٌ منكم يومئذٍ]

ثم ربط أبو ذر ﷺ بين هذين النصين الكريمين وبين الواقعِ المرِّ الذي يعيش فيه، فأصابه حزنٌ عميقٌ، وألمٌ شديدٌ أقلق ليلهُ، وأدمى نهارَهُ، وجعله يأسفُ على ما أصابَ إخوانَهُ من أصحاب محمدٍ ﷺ .

لم يكَنْ أبو ذرٍ وحده الذي عاش هذه الدوامةَ من الحزنِ والألم ، بل إن كثيراً من الصحبِ الكرامِ شاركوه هذا الأسفَ، وعاشوا معه هذا القلقَ المؤلمَ والممضَّ .

فهذا عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ يدخلُ السوقَ يوماً فيرى الناسَ مقبلين على الدنيا ، يبيعونَ ويشترون، وتعلو أصواتُهم، وترتفعُ بالأيمانِ فيناديهمُ ابنُ مسعودٍ قائلاً :

ما تَصنعون ههنا ؟ وميراثُ محمدٍ ﷺ يقسَمُ في المسجدِ..!!

فأخذ الناسُ يهرَعون إلى المسجدِ فرأوا حلقاتِ العلمِ معقودةً

هنا وهناك فأدركوا أن ميراثَ محمدٍ ﷺ ، هو العلمُ وليس المالَ كما يتبادرُ إلى الذهنِ عند إطلاق لفظِ الميراث.

لقد كان عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ كأبي ذرٍ في حزنهِ على واقعِ المسلمين، في تكالبِ بعضِهم على الدنيا ، وتمالكِهم على حطامِها ، فكان من الذين يحاولون ما استطاعوا أن يشغلوا الناسَ بكتابِ الله تعالى عن المال وجمعِهِ.

وهذا الفاروقُ عمرُ ﷺ يوصي أصحابَهُ أن يتمسكوا بالقرآن فيقول:

اشتغلوا بالقرآن، فإن القرآن كلامُ الله.

وحين أرسل أبا موسى الأشعريَّ إلى العراقِ قال له :

إنك تأتي قوماً لهم في مساجدِهم دويٌّ بالقرآنِ كدويِّ النحلِ، فدعهم على ما هم عليه ، ولا تشغلهم بالأحاديث، وأنا شريكُكَ في ذلك .

وهذا عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما تأتيه في يومٍ واحدٍ أربعةُ آلافِ درهمٍ وقطيفةٌ،ويعلمُ الناسُ بذلك،فيراه بعضهم[1] في اليومِ التالي يشتري علفاً لراحلتِهِ نسيئةً [2] .

---

[1] هو أيوبُ بنُ وائل.

[2] النسيئة : الدين .

فدُهِشَ من صنيعِ ابن عمرَ ، فذهب إلى أهلِ بيتِهِ فسألهم :
أليس قد أتى لأبي عبدِ الرحمنِ بالأمسِ أربعةُ آلافِ وقطيفةٌ؟
قالوا : بلى .
قال : فإني رأيتُهُ اليومَ بالسوقِ يشتري علفاً لراحلتِهِ ولا يجدُ معهُ ثمنَهُ.
فقالوا: إنه لم يبتْ بالأمسِ حتى فرقها جميعاً، ثم أخذ القطيفةَ وألقاها على ظهرِهِ وخرج، ثم عاد وليسَتْ معه.
فسألناه عنها، فقال: إنه وهبها لفقير .
فخرج الرجلُ يضربُ كفاً بكفٍ حتّى أتى السوقَ ، فوقف بمكان عالٍ وصاح في الناسِ:
يا معشرَ التجارِ، ما تصنعون بالدنيا؟ وهذا ابنُ عمرَ تأتيه آلافُ الدراهمِ فيوزعُها، ثم يصبحُ فيستدينُ علفاً لراحلتِه...؟..!!
ولما قتل عثمانُ ﷺ عرض الناسُ على ابنِ عمرَ الخلافةَ، وقالوا له : إنك سيدُ الناسِ ، وابنُ سيدِ الناسِ ، فاخرج نُبايعْ لك الناسَ، فرفض ، فهددَ بالقتلِ ، فأصرَّ على رفضِهِ وإبائِهِ.
فقالوا له: لتخرجَنَّ ، أو لنقتُلَنَّكَ على فراشِك، فلم يغير رأيَهُ.

فجعلوا يغرونه حيناً، ويهددونه أحياناً، ولكنه أصـرّ علـى موقفهِ الرافضِ .

هذه نماذجُ قليلةٌ من المواقفِ العظيمةِ والمشرفةِ لأصحـابِ رسول الله ﷺ ، وهي بمجموعها تبينُ لنا وحدةَ الموقفِ بـين الصحب الكرام ووحدةَ المبدأ ، ووحدةَ المنهجِ، ومنهم أبـو ذرٍ رضي الله عنهم جميعاً، فهم الذين استقوا من معـينٍ واحـدٍ ، وتتلمذوا على يدِ أستاذٍ واحدٍ، وتخرجوا من مدرسةٍ واحدةٍ.

فلا غرابةً أن يتفقوا على منهجٍ واحدٍ.

عرض عليه الخليفةُ عثمانُ ﷺ وظيفةَ القضاء، فاعتذر ، فألحّ عليه عثمانُ.

فأصرَّ ابنُ عمرَ على اعتذارِه.

فقال له عثمانُ : أتعصيني ...؟

فقال ابنُ عمرَ : لا ، ولكن بلغني أن القضاةَ ثلاثةٌ .

قاضٍ يقضي بجهلٍ ، فهو في النار ، وقاضٍ يقضي بهـوىً، فهو في النار ، وقاضٍ يجتهدُ ويصيبُ ، فهو كَفـافٌ ، لا وزرَ ولا أجرَ ، وإني لسائلُكَ بالله أن تعفيني.

لعلّ ما جعله يتخذُ هذا المَوقفَ قولُ النبي ﷺ حـين أخـذ بمنكبيه ، وقال له :

[كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ]
فإذا كان بقاء الإنسان في الدنيا على هذه الصفـــةِ، فلِـمَ المنصبُ ، ولِمَ القضاءُ، ولِمَ الإمارةُ، ولِمَ جمعُ المالِ...؟

وهذا سعيدُ بنُ عامرٍ ﷺ الذي عرضَ عليه أمـيرُ المؤمنـين عمرُ ﷺ إمارة حمصَ ، فاعتذر سعيدٌ وقال: لا تفتنّي يا أمـــيرَ المؤمنين .

فصاح عمرُ في وجههِ مغضباً وقــال: واللهِ لا أدعُـكَ ... أتضعون أمانتَكُم وخلافَتكم في عنقي، ثم تتركوني ..؟..!!

وهو الذي قال لزوجته يومَ حزنَتْ على المالِ الذي أنفقـــهُ كلّهُ في سبيلِ اللهِ:

أتعلمين أنَ في الجنةِ من الحورِ العينِ والخيراتِ الحسانِ ما لـو أطلّتْ واحدةٌ منهنَّ على الأرضِ لأضاءَتها جميعاً، ولقهرَ نورُهــا نورُ الشمسِ والقمرِ معاً.

فلأن أضحيَ بكِ من أجلِهنَّ أحرى وأولى من أن أضحـــيَ بهنَّ من أجلِكِ .

هذا قليلٌ من كثيرٍ من المواقفِ النبيلةِ الـــتي تؤكـــدُ زهـــدَ الصحبِ الكرامِ رضيَ اللهُ عنهم في المالِ والإمارةِ، بل في الدنيـا كلِها.

أبو ذر الغفاري

(أبو ذرٍ ومعاوية)

سمع أبو ذرٍ ﷺ ما جرى في الشامِ من تكديسٍ للأمـــوالِ ، واحتكارٍ للثروةِ، وأن تعلق بعضهم بالدنيا أوشكً أن يطغـــى على كلِ شيءٍ، وأن يهدمَ كلَّ ما بُنِيَ في أطهرِ وأعظمِ وأقـدسِ فترةٍ من حياةِ الإسلامِ، فأدرك أبو ذرٍ أن واجبَهُ المقدسَ نحـــو دينِهِ وإخوانِهِ يقضي أن يذهبَ فوراً إلى الشامِ ليقومَ بواجـــبِ النصح والذكرى لمن غرقوا في الدنيا ، وطمروا أنفسهم تحـــت حطامِها، فالدينُ النصيحةُ ، وإن لم يقم أبو ذرٍ بهذا الواجـــبِ عاش تحت وخزِ الضميرِ ، وتأنيبِ النفسِ ، وعذابِ الروحِ.

إذن لا بدَ أن يذهبَ إلى الشام ليُسمِعَ معاويةَ وغيرَه ما يجبُ أن يُسمِعَهُمْ.

فحسر الرجلُ الأسمرُ النحيفُ الطويلُ رداءَ هُ عـــن ســـاقيه، وانطلق يسابقُ الريحَ إلى الشامِ، فإذا ما وصل إلى بلدةٍ أو قريـــةٍ استقبله أهلها بالحفاوةِ والتكريمِ ، وأحاطوا به من كلِ جـــانب في حماسٍ وشوقٍ ليسمعوا منه ، وليأخذوا عنه النصحَ والتوجيـهَ والإرشادَ والوعظَ ، ويقولونَ له : حدثنا يا أبا ذرٍ ... حدثنـــا يا صاحبَ رسول الله.

فينظرُ أبو ذرٍ ﷺ إلى الوجوهِ المؤمنةِ المحتشدةِ حوله فيرى أنها وجوهُ أصحاب الفقرِ والخصاصةِ.

وهذا طبيعيٌّ جداً، فمنِ الذي يُهرَعُ لاستقبالِ زعيمِ المعارضةِ وعدوّ الإمارةِ والثروةِ غيرُ أصحابِ الفقرِ والجوعِ والحرمانِ، غيرُ الذين هبَّ أبو ذرٍ لينصفَهم ، وليكافحَ من أجلِهم، وليحاولَ ما استطاعَ أن يدفعَ عنهم شدةَ الجوعِ ، وألَمَ الحرمانِ.

هؤلاء هم أصحابُ المصلحةِ في استقبالِ أبي ذرٍ، والالتفافِ حولَهُ، والاستماعِ لكلماتِهِ.

أما الذين أصيبوا بتخمةِ المالِ، وطغيان المادة ، وتكديسِ الثروةِ أو انتفاخِ البطونِ فليس لهم أيةُ مصلحةٍ في استقبالِهِ، أو حتى رؤيتِهِ، إلا أنهم يعتقدون أنه أصبح يشكلُ خطراً على مصالِحِهم ، وتهديداً لإمارتِهم ومناصبِهم وأموالِهم بالزوالِ.

وقف أبو ذرٍ وهو يرمُقُ الجماهيرَ المحتشدةَ حولَهُ ، فقرأ في وجوهِهم كلماتِ الحبِ والعطفِ والتعاونِ والتضامنِ والتراحمِ، فانطلق لسانُهُ مردداً مقولَتهُ المشهورةَ :

[عجبتُ لمن لا يجدُ القوتَ في بيتِهِ، كيف لا يخرجُ على الناسِ شاهراً سيفَهُ ...؟...!!

ولكن سرعان ما انتصر على غضبهِ ، وتفوّق على ثورتِــهِ ، وردَدَ في نفسهِ قولَ الحقِ تبارك وتعالى:

[ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادِلْــهم بالتي هي أحسنُ] [1]

ويلتقي أبو ذرٍ بمعاويةَ، ويدورُ بينهما حديثٌ طويلٌ حـــولَ المالِ وجمعِهِ، ويستعرضُ أبو ذرٍ الحالةَ الماليةَ لمعاويةَ ومن معه من الذين صار لديهم ضياعٌ وقصورٌ، وجوْرٍ وعبيــدٌ ، ثم يصيــحُ فيهم :

أ فأنتمُ الذين نزل القرآنُ على الرســـولِ ﷺ وهـــو بـــين ظهرانيهم ؟

فلم يسمعْ أبو ذرٍ من أحدِهم جواباً ، فيقولُ : نعـــم أنتـــمُ الذين نزل فيكم القرآنُ ، وشهدتم مع الرســـولِ ﷺ المشـــاهدَ والغزوات[2] ويسألُ أبو ذرٍ مرةً أخرى: أولا تجدون في كتـــابِ الله هذه الآية :

[والذين يكنـــزون الذهبَ والفضةَ ولا ينفقونها في ســـبيل الله فبشرهم بعذابٍ أليم . يوم يُحمى عليها في نـــارِ جـــهنمَ

---

[1] الآية ١٢٥ من سورة النحل .

[2] رجال حول الرسول .

فتكوى بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورُهم هذا مـــا كنـــزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنـــزون] [1]

فيقومُ معاويةُ فيجيبُ قائلاً : لقد أُنزلَتْ هذه الآيةُ في أهـــلِ الكتابِ ، فيصرخُ أبو ذرٍ : لا ... بل أنزلَتْ لنا ولهم .

ويعودُ أبو ذرٍ إلى سمتِهِ وهدوئِهِ، ويقولُ : إني لكم نــــاصحٌ أمينٌ فاتركوا ما بأيديكم من مال، وفرقـــوه علـــى الفقـــراءِ والمحتاجين ، واتركوا الدنيا ، فإنها زائلةٌ ، وأبقوا لأنفسكم مـــا تحتاجونهُ ليومِ واحدٍ، وآثروا النعيمَ الدائمَ على النعيمِ الزائـــلِ، فما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغرور .

فلم يلقَ أبو ذرٍ من أحدٍ تجاوباً ، ولم يحسَّ من أحدٍ إصغاءً .

(وتتناقلُ المحافلُ والجموعُ نبأ هذه المناظرةِ وأنباءَ أبي ذرٍ.

ويتعالى نشيدُ أبي ذرٍ في البيوتِ والطرقات:

بشّرِ الكانزين بمكاوٍ من نارِ يوم القيامةِ.

ويستشعرُ معاويةُ الخطرَ ، وتفزعُهُ كلماتُ الثائِرِ الجليـــلِ ، ولكنه يعرفُ له قدرَه، فلا يقربُهُ بسوءٍ ، ويكتبُ مـــن فـــورِهِ للخليفةِ عثمانَ ﷺ يقولُ له :

إن أبا ذرٍ قد أفسدَ الناسَ بالشام.

---

[1] تقدمت .

ويكتبُ عثمانُ لأبي ذرٍ يستدعيه إلى المدينةِ .

ويحسرُ أبو ذر طرفَ ردائِهِ عن ساقيه مرة أخرى، ويسافرُ إلى المدينة تاركاً الشامَ في يومٍ لم تشهد دمشقُ مثلَهُ يوماً من أيامِ الحفاوةِ والوداع) [1]

ويستجيبُ أبو ذر ﷺ لأمرِ الخليفةِ عثمانَ، ويعودُ إلى مدينةِ رسول الله ﷺ ، بعدَ أن قام بواجبِ النصحِ والتبليغِ والتذكيرِ ، فإن أثَّرَتْ كلماتُهُ فهذا أثمنُ ما يتمناه أبو ذر ويرجوه، وإن لم تؤثِّرْ ، ولم يرَ إجابةً أو استماعاً، فحسبُهُ أنه بلّغ وأنذر ونصح وأدى ما عليه من أمانةِ التبليغِ وواجبِ النصحِ.

والأمرُ بعد ذلك للهِ عزَّ وجلَّ فالقلوبُ بين أصابعِهِ يقلبُها كيف يشاءُ.

(أبو ذرٍ وعثمان)

ويعودُ أبو ذرٍ ﷺ إلى المدينةِ بناءً على طلبِ من الخليفةِ عثمانَ ﷺ الذي عرض عليه عرضاً مغرياً ، فلوْ عُرِضَ هذا على غيرِ أبي ذرٍ ما تردَّدَ أبداً في قبولِهِ، ولكنّ إباءَه وكبرياءُه وعزةَ نفسِهِ أبتْ أن تضعفَ أمام هذا الإغراء، ورفضت أن تميلَ

---

[1] رجال حول الرسول.

إلى متاعِ الحياةِ الدنيا ، وتتخلّى عن العزمِ والمضـــاء و المبـــدأ السامي الذي عاهد نفسهُ أن يمضيَ عمرَه كلّهُ وهو ثابتٌ عليه.

لقد قال له الخليفةُ عثمانُ:

يا أبا ذر ، إبقَ هنا بجانبي ، تغدو عليك اللّقاحُ وتروحُ.

فأجابهُ أبو ذرٍ : لا حاجةَ لي في دنياكم .

لم يعرضْ عليه الخليفةُ " عثمانُ ﷺ هذا العـــرضَ بقصـــدِ إسكاتِهِ ورشوتِهِ لأنه يعلمُ من هو أبو ذر ، يعلـــمُ صراحتَـــهُ، وثباتَهُ على مبدئِهِ، ولكنه عرض عليه ذلك ليثبتَ له أنه يحترمُـــهُ ويعرفُ له قدرَهُ، ويحفظُ مكانَتهُ لعله يبقى إلى جانبِهِ يســـتأنسُ به، ويستعينُ بتجاربه وآرائِهِ.

ولكن أبا ذرٍ رفض ذلك وآثر الرحيلَ إلى الربذةِ بعيداً عـــن الإمارة حيث لا يرى أمثالَ مروانَ بنِ الحكمِ وغيرِهِ من المحيطينِ بالخليفةِ ، والمنتفعين من كلِ لونٍ.

لم يكن عثمانُ ليمنعَ أبا ذرٍ من الرحيـــلِ إلى الربـــذةِ ، و لم يكن من الذين يرفضون له مثلَ هذا الطلب ، فأذن له.

لقد فضل أبو ذرٍ أن يرتحلَ عن المدينةِ ، ويختارَ لنفسهِ مكانـــاً بعيداً عما يجري فيها حيث لا يرى ولا يسمع ما يحدثُ مـــن الزمرةِ المحيطةِ بالخليفةِ، والمستأثرةِ بالحكمِ خفيةً عن عثمانَ .

وأبو ذرٍ صاحبُ الكلمةِ الصريحةِ ، ذو الموقفِ الثابتِ والمبدأ القويم هو الذي سمع النبيَّ ﷺ يحدثُ أصحابَهُ يوماً عن الفتنِ وتركِها واعتزالِ المجتمعِ الذي انتشرَتْ فيه الفتنةُ ، واجتمع فيه أصحابُها ودعاتُها والمروجون لها .

كان أبو ذر رضي الله عنه يعتبرُ ما يجري في المدينةِ والشامِ وغيرهما من قبيلِ الفتنةِ التي أمر النبيُّ ﷺ باعتزالها.

لقد بلغه أن حذيفةَ بن اليمان حدّث عن حوارٍ دار يوماً بينه وبين النبيّ ﷺ فقال كما ورد في صحيح البخاري:

[كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عنِ الخيرِ، وكنتُ أسألُهُ عن الشرِ مخافةَ أن يدركني.

فقلتُ : يا رسولَ الله ، إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍ، فجاءنا الله بهذا الخيرِ ، فهل بعد هذا الخيرِ من شرٍ ؟

قال : نعم.

قلتُ : وهل بعد ذلك الشرِ من خيرٍ ؟

قال : نعم وفيه دَخَنٌ .

قلتُ : وما دخَنُهُ ؟

قال : قومٌ يهدون بغيرِ هديي تعرفُ منهم وتنكرُ .

قلتُ : فهل بعد ذلك الخيرِ من شرٍ؟

قال : نعم ، دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ من أجابهم إليها قذفوه فيها .

قلتُ : يا رسولَ اللهِ صفهم لنا .

قال : هم من جلدتِنا ، ويتكلمون بألسنتِنا .

قلتُ : فما تأمُرني إن أدركني ذلك؟

قال : تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهم .

قلتُ: فإن لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ ؟

قال : فاعتزِلْ تلك الفرقَ كلَّها ، ولو أن تعضَّ بأصلِ شجرة حتى يدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك] [1]

ولعلَّ أبا ذر ﷺ كان مغالياً كثيراً ، ومتطرفاً جداً في مواقِفهِ من مجتمعِهِ وحكمِهِ على الناسِ بالسكوتِ عن الفتنةِ واجتماعِ بعضِهم عليها ، إلا أنه لم تكن ثمةَ فتنةٌ حقيقيةٌ حتى يسكتَ عنها الناسُ ويجتمعوا عليها، بل كانت محصورةً في جماعةٍ قليلةٍ والرسولُ ﷺ يقولُ: [لا تجتمعُ أمتي على ضلالةٍ]

ولكن كما سبق وذكرتُ : أن أبا ذرٍ له قناعتُهُ وفلسفتُهُ فأخذ بالفقرةِ الأخيرةِ من الحديث، وهي قولُ النبي ﷺ :

---

[1] رواه البخاري .

[فاعتزلْ تلك الفرقَ كلَّها ، ولو أن تعضَّ بأصلِ شـــجرةٍ حتى يدرِكَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك]

وقول النبي ﷺ : (نعم ، وفيه دَخَنٌ) أي فيه بعضُ المشاكِل والاضطرابات ، والدخن معناه : عدمُ صفوةِ القلوب بعضِــها لبعضٍ ، فهو عهدٌ مشوبٌ بفتن، وتلك الفتنُ شبيهةٌ بدخـــان النارِ، فهي فتنٌ قليلةٌ والخيرُ الذي بعد الشرِ ليس خيراً خالصاً، بل فيه كدورةٌ بمنـــزلةِ الدخانِ من النار .

قال القاضي عياض : المراد بالشرِ الأولِ الفتنُ التي وقعـــت بعد عثمانَ ، وبالخير الذي بعده ما وقع في خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ﷺ ، قال : وبالذي تعرفُ منهم وتنكرُ، الأمراءُ بعــده ، فكان فيهم من يتمسكُ بالسنةِ والعدلِ ، وفيهم من يدعـــو إلى البدعةِ ، ويعملُ بالجورِ] [1]

وقد يكونُ معنى الخيرِ فترةَ خلافةِ عمرَ بنِ الخطـــابِ ﷺ ، والشرِ الذي يأتي بعده ما حدث من وقوعِ فتنةٍ في زمنِ عثمـــانَ ﷺ وظهورِ الخوارجِ الذين ثاروا عليه بعدَ ذلك وقتلوه .

وقوله ﷺ [قومٌ يهد ون بغيرِ هديي]

---

(1) حاشية الشنواني على مختصرِ ابن أبي جمرة .

جاءت الرواية بلفظِ هديي : بياءين ، وفي روايةٍ أخرى، بياءٍ واحدة .

أماً على رواية هديي بياءين على أن الياء الثانية مضافة إلى المتكلم ، فيكون المعنى: قومُ يهدون بغيرِ طريقتي وسنتي .

وعلى روايةِ ياء واحدة : (يهدون بغيرِ هَدْي) أي يدعون الناسَ بغيرِ هَدْي، أي بغيرِ استهداءٍ ودليلٍ، فتارة يصيبون ، وتارةً يخطئون، وذلك بسببِ عدمِ التمسكِ بالسنةِ.

وقوله: [دعاة على أبوابِ جهنم] أي جماعةٌ يدعون الناسَ إلى الضلالةِ ويصدونهم عن الهدى بأنواعٍ من التلبيس ، وهذا إشارةٌ إلى نشوءِ بعضِ الفرقِ ، كالقدرية والجبرية والمعتزلة وغيرها .

وقوله ﷺ : [هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتِنا] أي منا معشرَ العربِ والمسلمين ، فهم يتكلمون بلغتِنا ، وعلى ديننا ، فهم في الظاهرِ على دينِنا ، وفي الحقيقةِ مخالفون لنا ، ويعتقدون بغيرِ معتقدِنا وسنتِنا .

وقوله ﷺ : [ولو أن تعضَّ بأصلِ شجرةٍ الخ ...] فيه حثٌ على التمسكِ بالدين ، والعملِ بالكتابِ والسنةِ ، والصبرِ على التقوى ، والتزامِ أوامر اللهِ تعالى ، واجتنابِ نواهيهِ،

وطاعةِ الرسول ﷺ في كل ما أمر به ونهى عنه .

وذلك كقوله ﷺ في الحديثِ الآخـــرِ : [عضـــوا عليـــها بالنواجذِ] .

ويقيمُ أبو ذر رضي الله عنه في الربذةِ وحيداً ، فيعتقدُ البعـــض أنـــه منفيٌّ، وأن عثمانَ أبعده عن المدينةِ وحكم عليه أن يعيـــشَ في منفاه حتى يموتَ ، ولم يعلموا أنه خرج باختيارِهِ وإرادتِهِ بعـــد أن استأذن عثمانَ في ذلك .

حتى لقد جاءه يوماً إلى الربذةِ وفدٌ من مؤيديـــه، وأنصـــارِ مذهبِهِ يسألونه أن يرفعَ رايةَ المعارضةِ، ويعلنَها ثـــورةً علـــى عثمانَ.

وما كان لأبي ذرٍ رضي الله عنه أن يفعلَ خشيةَ أن تُراقَ بسببِهِ قطـــرةٌ واحدةٌ من دمِ امرئٍ مسلمٍ، وحفاظاً منه على وصيةِ النـــبي ﷺ يوم أن قال له : اصبر حتى تلقاني) ... كما تقدم.

وهو الذي عمل بقولِ النبي ﷺ : [سِبابُ المسلمِ فسوقٌ ، وقتالُهُ كفرٌ] (١)

لقد زجر أبو ذرٍ الذين قدِموا إليه ليشعلها حرباً على الخليفـــةِ عثمان ، وقال لهم :

---

(١) صحيح مسلم .

والله لو أن عثمانَ صلبني على أطولِ خشبةٍ أو جبلٍ ، لسمعتُ وأطَعتُ وصبرتُ واحتسبتُ ، ورأيتُ ذلك خيراً لي . ولو سيّر لي ما بين الأفق إلى الأفق لسمعت وأطعت وصبرت واحتسبت ورأيت ذلك خيراً لي ، ولو ردّني إلى منزلي، لسمعتُ وأطعتُ ، وصبرتُ واحتسبتُ، ورأيتُ ذلك خيراً لي .

ذلك أن كان يدركُ واجبَهُ تماماً حيالَ خليفةِ المسلمين ، ووجوب طاعتِهِ ، لأنه يدرك أمرَ الله تعالى في قرآنهِ الكريمِ حيث يقولُ اللهُ تبارك وتعالى :

[يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فردّوه إلى اللهِ والرسولِ إن كنتم تؤمنون بالله واليومِ الآخرِ ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً] [1] صدق الله العظيم .

فطاعةُ أولي الأمرِ واجبةٌ بمقتضى الآيةِ الكريمةِ ، وبنصّ قولِ الرسولِ ﷺ وهو يوصى أصحابَهُ بتقوى الله تعالى والسمعِ والطاعةِ [أوصيكم بتقوى الله ، والسمعِ والطاعةِ وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً.

[1] الآية ٥٩ من سورة النساء.

فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين ، تمسكوا بهـــا وعضّوا عليها بالنواجذ.

وإياكم ومُحدَثاتِ الأمور، فإن كلَّ مُحدثَةٍ بدعةٌ ، وكــلّ بدعةٍ ضلالةٌ] [1]

فطاعةُ الأمير إذن واجبةٌ لأنها أمرٌ مــن الله تعــالى ، ومــن الرسولِ ﷺ إذا كانت في طاعةِ الله، وإن لم تكن في طاعــةِ الله سقطتَ لأنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

(أبو ذرٍ والعلم)

أبو ذرٍ رضي الله عنه واحدٌ من جلةِ علماءِ الصحابةِ ، وله باع طويــلٌ في الحديث والتفسير والفقهِ والفتوى.

قال عنه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه : لم يبقَ اليومَ أحدٌ لا يبــالي في اللهِ لومةَ لائمٍ غيرُ أبي ذرٍ .

ولقد تصدّى للفتوى ، وراح يناهضُ استغلالَ الســلطةِ ، واحتكارَ الثروةِ ومضى يقوّم اعوجاجَ الأغنياء، وقبْضَ أيديـهمِ، وامتناعَهم عن مدِ يدِ العونِ والمساعدةِ للفقراءِ، ويفتي بضــرورةِ

[1] رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقي والترمذي .

أخذِ المالِ من الأغنياءِ بالقوةِ ، الأمر الذي جعلهم يحنقون عليه ويحاولون أن يمنعوه من الفتوى بالضغط حيناً ، وبالتهديدِ حيناً.

فقال لهم وهو غيرُ عابئٍ بضغطِهم وتهديدهم :

والذي نفسي بيده ، لو وضعتم السيفَ فوق عنقي ، ثم ظننتُ أني منفذٌ كلمةً سمعتُها من رسولِ الله ﷺ قبل أن تحتزّوا لأنفّذتُها .

ذلك أنه يدرك أن واجبَهُ العلميَّ والدينيَّ يقضيان بوجوبِ أداءِ النصيحةِ ، والتبليغِ والتذكيرِ ، فمن قصَّرَ في ذلك كان آثماً واستحق العقابَ الأليمَ من الله تعالى ، لأنه يكونُ كاتماً للعلمِ ، وحابساً للنصحِ، ومن كتم علماً ألجمهُ الله بلجامٍ من نارٍ يوم القيامةِ، والعياذ بالله تعالى .

لذلك كان ﷺ يدورُ بين المسلمين ويذكرهم بالله ، ويخوفُهم من يومِ القيامةِ ، والحساب والجزاء.

(نماذج من روايته للحديث)

وفي مجلسٍ من مجالسِ العلم أخذ أبو ذرٍ يحدثُ الناس، ويروي لهم أحاديثَ الرسولِ ﷺ ، فقال:

خرج علينا رسولُ الله ﷺ فقال: أتدرون أيٌّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله تعالى ؟

فقالَ قائلٌ : الصلاةُ.

وقال آخر: الزكاةُ .

وقال ثالث: الجهادُ في سبيل الله .

فقال النبي ﷺ : إن أحبَّ الأعمالِ إلى الله تعالى ، الحبُّ في الله، والبغضُ في الله] [1] .

ولقد سأله النبيّ ﷺ يوماً فقال : [أيٌّ عرى الإيمان أوثق . قال أبو ذر: الله ورسولُه أعلم. قال : الموالاة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله .]

يعني يجبُ أن تكونَ العلاقاتُ الاجتماعيةُ بين المسلمين قائمةً على أساسٍ من الحبِ الوثيق، والتقدير المتبادل البعيد عن المصالحِ الشخصية ، والأمور الدنيوية .

فإذا ما كان الحبُ لله كان صادقاً خالصاً لوجه الله تعالى ، قوياً وعميقاً ، وفي ذلك يَقولُ النبيُّ ﷺ في السبعةِ الذين يظلُهمُ الله في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلاّ ظلُّه ، وذكر منهُمُ اثنينِ فقال:

[ورجلان تحابّا في اللهِ ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه] [1]

---

[1] رواه أحمد .

وقوله ﷺ : (والبغضُ في الله)

أي على المسلمِ أن لا يبغضَ أحداً إلا لله تعالى ، بمعنى يبغضُهُ إذا كان عاصياً لا يقبلُ نصحاً ، ولا يسمعُ موعظةً .

كما لا ينبغي أن يبغضه إذا قدّم إليه إساءةً، فقد كان رسولُ الله ﷺ لا يغضبُ إلا إذا انتُهِكَتْ محارمُ الله ، وكان من أخلاقِه ﷺ أنه كان يعطي من حرمه ، ويصلُ من قطعه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويحسنُ لمن أساء إليه .

وقد روي عنه ﷺ أنه قال : [إن الله إذا أحبَّ عبداً دعا جبريلَ ، فقال : إني أحبُّ فلاناً فأحبَّهُ.

قال : فيحبُهُ جبريلُ ، ثم ينادي في السماءِ فيقول: إن الله يحبُّ فلاناً فأحبوه فيحبُّهُ أهلُ السماء، ثم يوضَعُ له القبولُ في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريلً فيقول: إني أبغضُ فلاناً فابغضْهُ. قال : فيبغضُهُ جبريلُ، ثم ينادي في أهلِ السماء : إن الله أبغضَ فلاناً فأبغضوه . قال : فيبغضونه، ثم توضَعُ له البغضاءُ في الأرضِ][2]

ومما رواه أيضاً عن النبي ﷺ الوصيةُ التالية :

---

[1] رواه البخاري .

[2] رواه مسلم .

قال أبو ذر ﷺ :

أوصاني خليلي بسبعٍ :

أمرني بحب المساكين، والدنوِّ منهم.

وأمرني أن أنظرَ إلى من هو دوني ، ولا أنظرَ إلى من هو فوقي .

وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً .

وأمرني أن أصلَ الرحمَ.

وأمرني أن أقولَ الحقَّ وإن كان مراً .

وأمرني أن لا أخافَ في الله لومةَ لائمٍ.

وأمرني أن أكثرَ من قولِ :لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله] (١)

ومما رواه عن النبي ﷺ قولهُ:

[زُرِ القبورَ تذكُرْ بها الآخرةَ، واغسلِ الموتى، فإن معالجةَ جسدٍ خاوٍ موعظةٌ بليغةٌ وصلِّ على الجنائز لعلَّ ذلك أن يحزنَكَ، فإن الحزينَ في ظلِ الله يتعرضُ كلَّ خيرٍ] (٢)

ومما روى عن النبي ﷺ : أنه قال له : ستةَ أيامٍ ثم اعقِلْ يا أبا ذرٍ ما يقالُ لك بعدُ .

---

(١) رواه أحمد والطبراني ، وفيه اختلاف في بعض الألفاظ .

(٢) رواه الحاكم وقال : رواتُهُ ثقاتٌ والحديث صحيح .

فلما كان اليوم السابعُ قال:

أوصيك بتقوى الله في سرِّ أمرِكَ وعلانيتِــــهِ، وإذا أســأتَ فأحسنْ ولا تسألنَّ أحداً شيئاً ، وإن سقط سوطُك. ولا تقبض أمانةً] [1]

ومن وصايا رسولِ الله ﷺ ما رواه أبو ذرٍ فقال : أوصـــاني خليلي ﷺ بثلاث، قال :

اسمَعْ وأطِعْ ولوْ لعبدٍ مجدوعِ الأنفِ. فإن صنعتَ مرقةً فأكثِرْ ماءَ ها ، ثم انظره إلى أهلِ بيتٍ جيرانِكَ فأصبْهُمْ منها بمرقتِـكَ. وصلِّ الصلاةَ لو قتِها] [2]

ومنها :

أن النبيَّ ﷺ قال له :

[اتقِ اللهَ حيثما كنتَ ، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخـالقِ الناسَ بخلقٍ حسنٍ] [3]

ومن روائع الوصايا ما سأل عنها أبو ذرٍ النبيَّ ﷺ ،قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ، ما كانت صحفُ إبراهيمَ؟

---

[1] رواه أحمد بإسنادٍ جيد .

[2] رواه مسلم مختصراً في كتاب البر والصلة .

[3] رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، وفي بعض النسخ حديث صحيح.

قال : كانت أمثالاً كلُّها : أيها الملِكُ المسلَّطُ المبتلى المغرورُ، إني لم أبعثْك لتَجمعَ الدنيا بعضها على بعضٍ ، ولكني بعثتُك لترُدَّ عني دعوةَ المظلومِ، فإني لا أردُّها وإن كانت من كافرٍ، وعلى العاقلِ ما لم يكن مغلوباً على عقلِهِ ، أن يكونَ له ساعاتٌ ، فساعةٌ يناجي فيها ربَّهُ ، وساعةٌ يحاسبُ فيها نفسهُ ، وساعةٌ يتفكرُ فيها في صنع الله عز وجلَّ، وساعةٌ يخلو فيها لحاجتِهِ من المطعَمِ و المشرَبِ ، وعلى العاقِلِ أن لا يكونَ ظاعناً [1] إلا لثلاث :

تزوُّد لمعاد، أو مَرَمّةٍ [2] لمعاشٍ، أو لذة في غيرِ محرَّم.

وعلى العاقلِ أن يكونَ بصيراً بزمانهِ، مقبلاً على شأنهِ، وحافظاً للسانهِ ومَنْ حَسبَ كلامَهُ من عملِهِ قلَّ كلامُهُ إلا فيما يعنيهِ.

قلتُ : يا رسولَ الله ، فما كانت صحفُ موسى عليه السلامُ؟ قال : كانت عبراً كلُّها : عجبتُ لمن أيقنَ بالموتِ ثم هو يفرحُ، عجبتُ لمن أيقنَ بالنارِ ثم هو يضحكُ، عجبتُ لمن

---

(1) الظعن، بفتح الظاء والعين : الارتحال .

(2) مرمة: المطلب.

أيقنَ بالقدَرِ ثم هو ينصَبُ، عجبتُ لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلِها ثم اطمأن إليها .

عجبتُ لمن أيقنَ بالحسابِ غداً ثم لا يعمل.

قلتُ : يا رسولَ الله، أوصني .

قال : أوصيك بتقوى الله فإنها رأسُ الأمرِ كلِّهِ.

قلتُ : يا رسولَ الله، زدني.

قال : عليك بتلاوةِ القرآن وذكرِ اللهِ عز وجلّ ، فإنه نورٌ لك في الأرضِ وذخرٌ لك في السماءِ.

قلتُ : يا رسولَ الله ، زدني.

قال : إياكَ وكثرةَ الضحكِ فإنه يميتُ القلبَ ، ويذهبُ بنورِ الوجه.

قلتُ : يا رسولَ اللهِ زدني.

قال: عليكَ بالجهادِ فإنه رهبانيةُ أمتي.

قلتُ : يا رسولَ اللهِ زدني.

قال: أحِبَّ المساكينَ وجالِسْهم .

قلتُ : يا رسولَ اللهِ زدني.

قال: انظر إلى مَنْ هو تحتَكَ، ولا تنظر إلى من هو فوقَكَ فإنه أجدرُ أن لا تزدري نعمةَ اللهِ عليك .

أبو ذر الغفاري

قلتُ : يا رسولَ الله زدني.
قال : قُلِ الحقَّ وإن كان مراً .
قلتُ : يا رسولَ الله زدني.
قال : ليُردَّك عنِ الناسِ ما تعلمُهُ من نفسِكَ، ولا تجِدْ عليهم فيما يأتي .

وكفى بك عيباً أن تعرفَ من الناسِ ما تجهلُهُ من نفسكَ .

يقولُ أبو ذر : ثم ضرب بيده على صدري فقال : يا أبا ذر، لا عقلَ كالتدبيرِ، ولا ورَعَ كالكفِّ، ولا حَسَبَ كحسنِ الخلقِ] [١] صدق رسول الله ﷺ ,

وبالتأملِ في هذه الوصايا جميعها نرى فيها الحثَّ على الزهدِ والرقائقِ ، والتمسكَ بحسنِ الخلقِ، وعدمِ الإساءةِ إلى الناس، وهي بجملتِها وصايا جامعةٌ لكلِ معاني الخيرِ، فلا جَرَمَ أن يتأثرَ بها أبو ذرٍ، ويعملَ بها لتنعكس على أخلاقِهِ وسلوكِهِ ، ويغدوَ الرجلَ الزاهدَ الورِعَ المتبتلَ الأواب.

قال له النبيُّ ﷺ يوماً :

[أتاني آت من ربي فأخبرني أنه مَنْ مات من أمتي لا يشركُ باللهِ شيئاً دخلَ الجنةَ] [٢]

---

[١] رواه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد.

[٢] صحيح مسلم .

فاستغرب أبو ذرٍ ﷺ وقال : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق.

قال أبو ذر : وإن زنى وإن سرق؟

فيجيبُهُ النبيُّ ﷺ قائلاً: وإن زنى وإن سرق.

فيزدادُ استغرابُ أبي ذرٍ ودَهشُـهُ فيسـأل : وإن زنى وإن سرق؟ فيقول النبي ﷺ : وإن زنى وإن سرق رغم أنفِ أبي ذرٍ.

وكأن الرسولَ ﷺ يقولُ له : لا تعجبْ يا أبا ذرٍ فتلك رحمةُ اللهِ عز وجلّ وقد وسِعَتْ كلَّ شيءٍ، واللهُ تعالى يَقول: [ورحمتي وسِعَتْ كلَّ شيءٍ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون] (1)

ولقد خصَّ اللهُ عز وجلّ هذه الرحمةَ الواسعةَ للمؤمنين بمحمدٍ ﷺ فقال :

[الذين يتّبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراةِ والإنجيلِ يأمُرُهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكرِ ويحلُ لهُمُ الطيباتِ ويحرمُ عليهِمُ الخبائثَ ... الآية]

---

(1) الآيتان ١٥٦-١٥٧ من سورة الأعراف .

ولقد ظلَّ أبو ذر ﷺ يحدثُ عن رسولِ الله ﷺ ، ويحـــدثُ تلاميذ أبي ذر...ويحدثُ دون توقفٍ، أو تعبٍ أو كللٍ أو ملــلٍ حتى غدا واحداً من علماءِ الصحابةِ، ومرجعاً في جميعِ العلوم .

قال عنه عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ :

[أبو ذرٍ وعاءٌ مُلِئَ علماً ثمَّ أوكئ عليه] [1]

ولقد بلغَ من عظيمِ فضلِهِ، وغزارةِ علمِهِ أن كبارَ الصحابـــةِ والتابعين أخذوا عنه العلمَ ، ورووا عنه أمثالَ ابنِ عباسٍ، وأنسِ بنِ مالكٍ، وأبي إدريسَ الخولاني، وزيدِ بن وهـــبٍ الجـــهني ، والأحنفِ بنِ قيسٍ، وجُبيرِ بنِ نُفيرٍ وعبيدِ الرحمن بـــنِ تميـــم، وسعيدِ بنِ المسيب، وخالدِ بنِ وهبانَ وهو ابن خالـــةِ أبي ذرٍ. وامرأةِ أبي ذرٍ ، وعبدِ الله بنِ الصامتِ، وخَرَشَةَ بنِ الحرِ، وزيـدِ بنِ ظبيانَ. وأبي أسماءَ الرحـــبي، وأبي عثمـــانَ النـــهدي، وأبي الأسودِ الدؤلي والمعرورِ بنِ سوَيدٍ، ويزيد بنِ شريك، وعبـــــدِ الرحمنِ بنِ أبي ليلى وأبي مر داحَ الغفاري، وعبدِ الرحمـــنِ بـــنِ حجيرةَ، وعبدِ الرحمنِ بنِ شماسة ، وعطاءِ بنِ يسار، وكثـــيرين غيرهم . الأمرُ الذي يشهدُ يعلو منـــزلتهِ، وتقدمِـــهِ في العلـــمِ والزهدِ والورعِ، ورفعةِ مكانتِهِ .

---

[1] أوكئَ عليه : ختم عليه ..هذه رواية الإصابة.

وتهافتُ كبار الصحابةِ والتابعين يشهدُ بذلك .

وجاء في روايةٍ أخرى عن عليٍ رضي الله عنه في علمِ أبي ذرٍ ومكانتِهِ ، قال ﷺ :

[وعى أبو ذر علماً عجز الناسُ عنه ، ثم اوكأ عليه فلم يُخرجْ منه شيئاً] [1]

وقال عنه النبي ﷺ :

[أبو ذرٍ في أمتي على زهدِ عيسى بنِ مريمَ عليه السلام]

وقال أبو ذرٍ ﷺ :

[لقد تركنا رسولُ الله ﷺ وما يحركُ طائرٌ جناحيه في السماءِ إلا ذكرنا منه علماً] .

وحريٌ برجلٍ اقتدى برسولِ الله ﷺ ، وأخذ عنه العلمَ والعملَ ، والزهدَ والتواضعَ أن يكتسبَ علماً غزيراً يجعلهُ في مقدمةِ علماءِ الصحابةِ رضي الله عنهم ، ويتهافتُ الناسُ على علمِهِ ويجتمعون عليه ليتعلموا منه، ويأخذوا عنه .

---

[1] الاستيعاب .

(تواضعه)

يروي عبدُ الله بنُ الصامتِ ، وهو أحدُ تلامذتِهِ فيقولُ :

دخلتُ مع أبي ذر في رهطٍ من غفار على عثمانَ بنِ عفانَ من البابِ الذي لا يُدخَلُ عليه منه .

قال : وتخوَّفَنا عثمانُ عليه ، فانتهى إليه فسلم عليه ، ثم ما بدأه بشيءٍ إلا أن قال : أحسبتني منهم يا أميرَ المؤمنين ؟ والله ما أنا منهم ، ولا أُدركُهم، لو أمرتَني أن آخذ بعرقوتي قتب لأخذتُ بهما حتى أموتَ ، قال : ثم استأذنه إلى الربذه، فقال له عثْمانُ : نعم ، نأذنُ لك ونأمرُ لك بنَعَمٍ من نعمِ الصدقةِ فتصيبُ من رِسْلِها .

فنادى أبو ذر : دونكم معاشرَ قريشٍ دنياكم فاعدموها ، إلا حاجةً كنا فيها .

قال: فانطلق، وانطلقتُ معه حتى قدِمنا الربذةَ ، فصادفْنا مولىً لعثمانَ غلاماً حبشياً يؤمُهم، فنوديَ بالصلاة، فتقدم فلما رأى أبا ذر نكصَ، فأومأ إليه أبو ذرٍ أن تقدمْ فصَلِّ، فتقدم فصلى خلفَهُ أبو ذرٍ وقال سعيدُ بن عطاء بن أبي مروانَ عن أبيه أنه رأى أبا ذرٍ في نمرةٍ مؤتزراً بها قائماً يصلي ، فقلتُ : يا

أبا ذرٍ ، أما لك ثوبٌ غيرُ هذه النمرةِ؟

قالَ : لو كان لي لرأيتهُ عليَّ .

قلتُ : فإني رأيتُ عليك منذ أيامٍ ثوبين .

فقال : يا ابنَ أخي ، أعطيتُهما من هو أحوجُ إليهما مني.

قلتُ : والله إنك لمحتاجٌ إليهما .

فقال: اللهم غفراً، إنك لمعظمٌ للدنيا ، أليس ترى عليَّ هذه البردةَ ولي أخرى للمسجدِ، ولي أعنزٌ نحلبها ، ولي أحمرةٌ نحتملُ عليها ميرتَنا ، وعندنا من يخدمُنا ويكفينا طعامَنا ، فأيُّ نعمةٍ أفضلُ مما نحن فيه ... ؟

وقال آخرُ : أخبرني مَنْ رأى أبا ذرٍ يحلبُ غُنيمةً له فيبدأُ بجيرانهِ وأضيافِهِ قبل نفسهِ، ولقد رأيتُهُ ليلةً حلبَ حتى ما بقي في ضروعِ غنمهِ إلا مصَّرَه ، وقربَ إليهم تمراً وهو يسيرُ .

ثم تعذّر إليهم وقال : لو كان عندنا ما هو أفضلُ من هذا لجئنا به،

قال : وما رأيتُهُ ذاق تلك الليلةَ شيئاً .

وقال عبدُ الله بنُ خِراشِ الكعبي: وجدتُ أبا ذرٍ في مظلةِ شعرٍ بالربذةِ تحتهُ امرأةٌ سحماءُ فقلتُ :

يا أبا ذر، تزوجُ سحماءَ [1] ... ؟ ...!!

فقال : أَتزوجُ مَنْ تضعُني أحبُّ إليَّ ممن ترفعُني ، مـا زال لي الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ حتى ما ترك لي الحقُّ صديقاً.

وعن أبي أسماءَ الرحبي أنه دخل على أبي ذر وهو بـالربذة وعنده امرأةٌ سوداءَ ، فقال : ألا تنظرون ما تأمُرني بـه هـذه السويداءُ ؟ تأمُرُني أن آتي العراقَ ، فإذا أتيتُ العراقَ مالوا عليَّ بدنياهم ، ألا وإن خليلي عهدَ إليَّ أن دونَ جسرِ جهنمَ طريقـاً ذا دَحَضٍ ومزلّةٍ، وإنا أن نأتيَ عليه وفي أحمالِنا اقتدارٌ أحرى أن ننجوَ من أن نأتيَ عليه ونحن مواقيرُ – يقصدُ ﷺ أن يأتيَ المؤمنُ يومَ القيامةِ خفيفَ الظهرِ من الذنوبِ خيرٌ له من أن يأتيَ مثقـلاً بالذنوبِ والآثام.

ولقد أخذ أبو ذر ﷺ هذا المعنى من قولِهِ تعالى :

[وَلَيحمِلُنَّ أثقالَهم وأثقالاً مع أثقالِهم وليَسألُنَّ يومَ القيامـةِ عما كانوا يفترون] [2]

والوِقرُ : الحملُ الثقيلُ ، قال تعال: [فالحامِلاتِ وقراً] [3]

---

[1] سحماء : سوداء .

[2] الآية ١٣ من سورة العنكبوت .

[3] الآية ٢ من سورة الذاريات .

وعن أبي عثمانَ النهدي قال : رأيتُ أبا ذرٍ يميدُ على راحلتِهِ وهو مستقبلُ مطلعِ الشمسِ فظننتُهُ نائماً ، فدنوتُ منه فقلتُ : أ نائمٌ أنتَ يا أبا ذرٍ ؟

فقال : لا ، بل كنتُ أصلي.

وعن عبد الله بنِ عتبةَ بنِ مسعودٍ قال : كُسِيَ أبو ذرٍ بُردين فأتزَرَ بأحدِهِما، وارتدى بسملةٍ، وكَسا أحدَهما غلامَهُ، ثم خرجَ على القومِ فقالوا له : لو كنتَ لبستَهما جميعاً كان أجملَ.

قال: أجل، ولكني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: [أطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبَسون]

(جهاده)

كان أبو ذرٍ ﷺ كغيرِهِ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ مجاهداً في سبيلِ الله بسيفهِ ، كما كان مجاهداً بلسانِهِ وفكرِه ، لم تُعرَفْ لسيفِهِ كبوةٌ ، ولم يُنقَلْ عنه أنّه تخلّفَ عن رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غزاها، إلا ما كان من تخلفِهِ عن بدرٍ وأحدٍ، حيث إنّ له عذرَهُ إذ لم يكن قد هاجر بعد إلى المدينةِ لأنه كان يدعو قومَهُ من غِفار كما تقدم، وحين قدم المدينةَ مهاجراً يقودُ قبيلتَي

غفار وأسلمَ، لازم النبيَّ ﷺ فلم يتخلّف عنه في مجلسِ علمٍ ، أو غزوةٍ ، أو سريةٍ ، أو مشهدٍ.

(على هامش غزوة تبوك)

قبل أن نذكرَ موقفَ أبي ذرٍ ﷺ ، وما جرى معه يومَ غـزوةِ تبوك، لا بد من التعرضِ للحالةِ النفسيةِ والاقتصاديةِ التي كانت تمرُّ بالمسلمين.

فقد كانوا في عسرةٍ من العيشِ ، ولذلك سُـميّتْ بغـزوةِ العسرةِ، وشدةٍ من الزمانِ، وقساوةٍ من الحرِ، وجدبٍ من البلادِ في الوقتِ الذي أينعَتْ فيه ثمارُ المدينةِ ، وطاب جناها ، والناسُ يحبون المقامَ في الثمارِ والظلالِ ، ويكرهون الخروج في تلـك الفترةِ من الزمن، ذلك أن الإنسان يميلُ بطبعـهِ إلى الظـلِ في وقتِ الحرِ، والراحةِ بعد التعبِ ، والطعام بعد الجوع، والركونِ إلى الدعَةِ والهدوءِ، والميلِ إلى الراحةِ والسكون.

على الرغم من هذه الظروف القاسيةِ، والأوقات الحرجـةِ خرج المسلمون ينفذون أمرَ اللهِ ورسولِهِ ، خرجوا للجـهادِ في سبيلِ الله تعالى لإعلاءِ كلمتِهِ ، ونشرِ دينِهِ ولو كره الكافرون .

قصة البكائين

وجاء البكاءون وهم سبعةُ نفر من الأنصارِ، وكانوا أهـــلَ فقرٍ وحاجةٍ لا يجدون رواحلَ يركبونها لتحمِلَهم إلى تبوك لبعدِ المسافةِ بينها وبين المدينةِ جاء هؤلاء البكاءون السبعةُ يطلبـــون من الرسولِ ﷺ أن يحملَهم ، فاعتذر إليهم وقال : لا أجدُ مـــا أحملكم عليه. فتولوا وأعينهم تفيضُ من الدمعِ حزناً ألاّ يجـــدوا ما ينفقون . وفي ذلك يقولُ اللهُ تعالى :

[ليس على الضعفاءِ ولا على المرضى ولا على الذيـــن لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا للهِ ورسولِهِ ما على المحسنين من سبيلٍ واللهُ غفورٌ رحيم . ولا على الذيـــن إذا مـــا أَتَـــوْكَ لتحملَهم قلتَ لا أجدُ ما أحملُكُم عليه تولّوا وأعينُهم تفيضُ من الدمعِ حَزَناً ألاّ يجدوا ما ينفقون] [1] صدق الله العظيم

فرأى أحدُ الصحابةِ اثنين منهم يبكيان فقال : ما يبكيكما؟

قالا : جئنا رسولَ الله ﷺ ليحملَنا ، فلم نجِدْ عنده ما يحملُنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروجِ معه.

---

[1] الآيتان ٩١-٩٢ من سورة التوبة .

فأعطاهما ناضحاً [1] وزودهما شيئاً من تمرٍ، فخرجا مع رسولِ الله ﷺ .

وهذا عليةُ بنُ زيدٍ أحدُ البكائين ، يخرجُ من الليلِ فيصلي ما شاء اللهُ أن يصلي ، ثم أخذ يبكي ويقولُ:

[اللهم إنك أمرتَ بالجهاد ورغّبتَ فيه ثم لم تجعل عندي ما أتقوّى به على الخروج، ولم تجعلْ في يدِ رسولِكَ ما يحملُني عليه، وإني أتصدقُ على كلِ مسلمٍ بكلِ مظلمةٍ أصابني منها في مالٍ أو جسدٍ أو عرضٍ].

ثم أصبح مع الناسِ ، فقال رسولُ الله ﷺ : أين المتصدقُ هذه الليلةَ ؟

فلم يقمْ أحدٌ.

ثم قال : أين المتصدقُ فلْيقم.

فقام إليه فأخبره .

---

[1] الناضح : الجمل .

فقال رسولُ الله ﷺ : أبشِرْ ، فو الذي نفسي بيــــدِهِ لقـــد كُتِبَتْ لك في الزكاةِ المتقبلةِ .

ثم خرجوا إلى تبوكَ في لهيبِ الحرِ، وشدةٍ من الزمانِ ،وعسرٍ من الزادِ، وقلةٍ من الماء، فكان الرجلان يقتسمان التمرة بينهما، كما كان النفرُ يتبادلون التمرةَ الواحدةِ بينهم ، يمصُها هـــذا ثم يشربُ عليها ، ويمصُّها هذا ثم يشربُ عليها .

يقولُ سيدُنا عمرُ ﷺ :

خرجنا مع رسولِ الله ﷺ إلى تبوكَ،فنـــزلنا منـــزلاً فأصابَنا فيه عطشٌ شديدٌ حتى ظَننا أن رقابنا ستنقطعُ ، وحتى إن الرجلَ ليذهبُ يلتمسُ الماءَ فلا يرجعُ حتى يظنَّ أن رقبتــــه ســـتنقطعُ وحتى إن الرجلَ لينحرُ بعيرَه فيعصرُ فرثَهُ فيشربه ويجعلُ ما بقي على كبدِهِ.

(شأن أبي خيثمة)

في هذه الظروفِ القاسيةِ ، والحالة النفسيةِ الصعبــــةِ تـــابع رسولُ الله ﷺ سيرَهُ يقودُ الجنودَ المؤمنين تحت حرِّ الشـــــمسِ وتوهُّجِها .

وبعد أيامٍ من سفرِهِ جعل بعضُ أصحابهِ يرجعون إلى المدينةِ، وقد ابطأتْ بهمُ النيةُ من غير شكٍ ولا ارتيابٍ، ولا خــوفٍ ولا نفاق.

فكَان يتخلفُ منهمُ الرجلُ بعد الرجلِ ، فيقولُ المسلمون: يا رسولَ الله، تخلَّفَ فلانٌ.

فيقولُ : دعوه، فإن يكُ فيه خيرٌ فسيُلحِقُهُ اللهُ بكـــم ، وإن يك غيرَ ذلك فقد أراحكُمُ اللهُ منه.

فقيل : يا رسولَ الله، لقد تخلَّف أبو خيثمةَ .

فقال لهم : دعوه ، فإن يكن فيه خيرٌ فسيلحقُهُ الله بكـــم ، وإن يكنْ غيرَ ذلك فقد أراحكم الله منه .

فلما رجع أبو خيثمةُ إلى المدينةِ، ودخل بيتَهُ، وجد امرأتـين له، وقد أعدّتا طعاماً شهياً، وماءً بارداً، فنظر إليهما وما أعدّتـا من طعامٍ وشرابٍ فراجع نفسَهُ، وأحسَّ بـالذنبِ والتقصـير، وشعر بوخزِ الضميرِ، وتأنيبِ النفسِ ، فندم على مـا فعـل ، وقال في نفسِهِ:

رسولُ الله ﷺ في الفح[1] ، والريحِ والحرِّ ، وأبو خيثمـــةُ في ظلٍ باردٍ، وطعامٍ مهيأٍ ، وامرأة حسناءَ في مالِـــهِ مقيـــمٌ ...!! واللهِ ما هذا بالنَّصْفِ [2] واللهِ لا أدخلُ عريشَ واحدةٍ منكمـــا حتى ألحقَ برسولِ الله ﷺ.

ثم أخذ طعامَهُ ، وامتطى جوادَهُ ، وخرج في طلبِ رســـولِ اللهِ ﷺ حتى أدركه وقد نزل تبوكَ.

فقال الناسُ : هذا راكبٌ على الطريقِ مقبلٌ.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ : كنْ أبا خيثمةَ.

فقالوا : يا رسولَ الله ، هو واللهِ أبو خيثمةَ.

فأقبل على رسول الله ﷺ ، فسلم عليه واعتذر إليه ، فقـــال له رسولُ الله ﷺ : أَولى لك يا أبا خيثمةَ، ثم أخبره ما جـــرى معه، فدعا له بخيرٍ، وقال له خيراً ، واستغفر الله له.

---

[1] الفحُّ : حر الشمسِ .

[2] النَّصْفُ : العدل.

شأنُ أبي ذرٍ

وكان أبو ذر ﷺ قد تخلّفَ أيضاً ، ولكن بـــلا شـــك ولا ارتيابٍ، فقد تلوَّمَ عليه بعيرهُ ، وأبطأ به .

فقال الناسُ : يا رسولَ اللهِ ، قد تخلّفَ أبو ذرٍ ، وأبطأ بـــه بعيرهُ.

فقال : دعوه، فإن يكُ فيه خيرٌ فسيلحقُهُ اللهُ بكـــم ، وإن يكُ غيرَ ذلك فقد أراحكُمُ اللهُ منه.

وأخذ أبو ذرٍ يعالجُ بعيرَه، فلما أبطأَ عليه أخذ متاعه فحملـه على ظهرهِ وانطلق يغذ السيرَ يتبعُ أثرَ رســولِ اللهِ ﷺ ماشــياً على قدميه حتى اقترب من مكانِ رسول الله ﷺ ، فنظر رجــلٌ من الصحبِ الكرامِ فقال : يا رسولَ اللهَ ، إن هـــذا الرجــلَ يمشي على الطريقِ وحده ...!!

فقال رسولُ الله ﷺ : كُنْ أبا ذرٍ .

فلما دنا منهم وعرفوه قالوا : يا رسولَ الله، هو واللهِ أبـــو ذرٍ.

فقال: رَحِمَ اللهُ أبا ذرٍ، يمشي وحده، ويموتُ وحده، ويُبعَثُ وحدَهُ.

فهنيئاً لك أبا ذرٍ هذا الدعاء، وهنيئاً لك هذا المدح والثناء ، وهنيئاً لك محبة الرسولِ ﷺ وثقتُهُ المطلقة بإيمـــانكَ وصدقِـــكَ وإخلاصِك .

بهذه الروحِ المعنويةِ والصادقةِ انتصر الإسلامُ ، وعلى أكتافِ هؤلاء الرجالِ العظامِ عَلَتْ رايتُهُ ، وبصدق هـــؤلاء العمالقـــةِ وإخلاصِهم وتفانيهم انتشر نورُهُ ، وعَمَّ ضياؤهُ مشـــرقَ الأرضِ ومغربَها ، إنهمُ الرجالُ الذين قال الله عز وجل فيهم :[مـــن المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه فمنهم مـــن قضـــى نحبَهُ ومنهم مَنْ ينتظرُ وما بدّلوا تبديـــلاً] [1] صـــدق الله العظيم.

[1] الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

(خاتمة في ذكرِ وفاةِ أبي ذرٍ)

لقد عاش أبو ذرٍ ﷺ في المكان الذي اختاره لنفسهِ أن يبقى فيه ، ويُمضي بقيةَ عمره فوق أرضِهِ.

إنها الربذة التي اختارها ، ولعلّه يدري أنه سيموتُ فيـــها، وتضمُّهُ تربتُها لتكونَ سعيدةً وموفقةً حين تحتضنُ جثمانَ أطهر وأزكى وأعطرِ مَنْ مشى عليها مِن أصحاب رســولِ الله ﷺ ، وأصدقِهم لهجةً ، وأشدِهم ورعاً ، وأكثرِهم زهداً.

إنه يجلسُ فوق ترابِ الربذةِ وليس معه سوى زوجتِهِ وابنتيــهِ وهو يعالجُ سكراتِ الموتِ.

فتبكي زوجتُه وَهي جالسةٌ إلى جوارِهِ، ولا تملك ما تكفنُــهُ به إذا مات.

فيقولُ لها أبو ذر ﷺ : فيمَ البكاءُ والموتُ حقٌ ..؟

فتقولُ : إنها تبكّي لأنها لا تملكُ ثوباً تكفنُهُ به.

فيقولُ لها وهو في أوجِ سعادتِهِ بلقاءِ ربهِ: لا تبكي ، فـــإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ ذات يومٍ وأنا عندَه في نفرٍ من أصحابـــهِ يقولُ: [ليموتَنَّ رجلٌ منكم بفَلاةٍ من الأرضِ، تشهدُهُ عصابــةٌ من المؤمنين ، وكلُّ من كان معيً في ذلك المجلـــسِ مـــات في جماعةٍ وقريةٍ ، ولم يبقَ منهم غيري .

وها أنذا بالفلاة أموت، فراقبي الطريقَ، فستطلعُ علينا عصابةٌ من المؤمنين،فإني وَالله ما كذبتُ ولا كُذِبتُ فأبصري الطريقَ.

فقالت : أنّي وقد انقطع الحاجُّ، وتقطّعتِ الطرقُ؟

فكانت تقوم على كثيب من الرملِ تنظرُ لعلّها تجد أحداً يمـرُّ بها ، ثم تعودُ وتجلسُ معه وهو يعالجُ سكرات الموت.

وبينما هي كذلك إذ رأتْ نفراً من الرجالَ على رحالِــهم ، فجعلتْ تلوح لهم بثوبها ، فأقبلوا إليها وقالوا : ما لكِ؟

قالتِ : امرؤٌ من المسلمين يموت لعلكم تدفنونه.

قالوا : ومَنْ هو؟

قالت: أبو ذرٍ .

فقالوا جميعاً : نفديك بآبائنا وأمهاتنا يا أبا ذر.

فقال لهم : أبشروا ، إني سمعتُ رســـولَ الله ﷺ يقــولُ: [ليموتَنَّ رجلٌ منكم بفلاة من الأرضِ تشهدُه عصَابـــةٌ مــن المؤمنين ... إلخ] وعن عبدِ الله بن مسعود ﷺ قال : لما نفــى عثمانُ أبا ذر إلى الربذة وأصابه بها قدره ، ولم يكن معـــه إلا إمرأتُهُ وغلامُهُ فأوصاهما: أن اغسلاني وكفناني وضعاني علـــى قارعةِ الطريق، فأولُ ركب يمرُّ بكم ، فقولوا : هـــذا أبـــو ذرٍ صاحبُ رسولِ الله ﷺ فأعينونا على دفنهِ.

فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعـــةِ الطريـــق، وأقبل عبدُ الله بنُ مسعود في رهطٍ من أهلِ العراق عُمّاراً فلـــم يرُعهم إلا الجنازة على ظهرِ الطريق قد كادت الإبلُ أن تطأها.

فقام إليه الغلامُ فقالَ: هذا أبو ذرٍ صاحبُ رســـولِ الله ﷺ فأعينونا على دفنهِ.

فاستهلَّ عبدُ الله بنُ مسعودٍ يبكي ويقولُ :
صدق رسولُ اللّهِ ﷺ: تمشيً وحدك، وتموتُ وحدك، وتُبعَثُ وحدك.

ثم صلى عليه ابنُ مسعود ومن معه، وواروه التراب ، وأخذ ابنُ مسعود يحدثُهُم حين تخلَّف أبو ذرٍ ، وقولَ رسول الله ﷺ.

رَحِمَ اللهُ أبا ذر، يمشي وحدهُ، ويموتُ وحده، ويُبعَثُ وحدهُ.

وصدق رسولُ اللهِّ ﷺ ، فلقد مات أبو ذر وحده، بفلاة من الأرضِ، وشهدتْهُ ثلةٌ مباركةٌ من المؤمنين، على رأسِهم عبدُ اللهِ ابنُ مسعود رضي الله عنه وأخذ نصيبَهُ من الأذى في سبيل الله تعالى .

رحم اللّهُ أبا ذرٍ وشكر سعيَهُ ، وقبل عملَهُ ، وجعله من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً ذلك الفضلُ من الله وكفى بالله عليماً .

صدق الله العظيم .

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين
وإلى لقاءٍ مع عملاقٍ آخرَ من عمالِقةِ الإسلام.

الفهرس

عمالقة الإسلام

١٠

سعد بن معاذ

إعداد
عبد القادر الشيخ إبراهيم

مراجعة
أحمد عبد الله فرهود

دار القلم العربي



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف : ٢٢١٣١٢٩ ص . ب : / ٧٨ / فاكس : ٢٢١٢٣٦١ ٢١ - ٠٠٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سعد بن معاذ رضي الله عنه

سيد الأوس

اسمه ونسبه :

هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ابن زيد بن عبد الأشهلِ .

أمهُ :كبشة بنت رافع بن معاويةَ بن عبيد بن الأبجر . وقد أسلمت ، وبايعت النبيَّ ﷺ .

صفته :

كان رضي الله عنه ضخماً طويلاً ، سمحاً كريماً ، ذا أخلاقٍ

كريمةٍ ومزايا نبيلة ، وكان أبيضَ ، وسيماً جميلاً .

كنيته :

يكنى سعد بن معاذٍ ﷺ أبا عمروٍ .

سبب إسلامه :

أسلم سعد بن معاذ ﷺ مع أسيدِ بن حضيرٍ علـــى يد مصعب بن عميرٍ ﷺ حـــين بعثـــه رســـول الله ﷺ إلى المدينة يدعو أهلها إلى الإسلام ، ويقرئُهم القـــرآن ، وكان أسعد بن زرارة ﷺ مع مصعب بن عمير يدعـــوان إلى الإ سلام .

فكان من أمرهما أن جاء أسيد بن حضير ليطردهمـــا من المدينة لأنهما جاءا بدينٍ يخالف دين آبائهم وأجدادهم.

وقف أسيد بن حضير يخاطبهما متـــهكماً والشـــر يتطاير من عينيه وقال : ما جاء بكما إلى حيِّنا، تسفهـــان

ضعفاءنا ؟ اعتزلانا ، إذا كنتما لا تريدان الخـــروج مـــن الحياة .

فأجابه مصعب بن عمير ﵁ بكل ثقـــةٍ وهـــدوء ووداعةٍ قائلاً :

أولا تجلس فتستمعَ ؟ فإن رضيت أمرنـــا قبلتـــه ، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره .

فانصاع أُسَيْدُ بن حضير للحق وقال أنصفت، وألقى حربته إلى الأرض وجلس مع الناس يصغي لحديث مصعب الذي أخذ يتلو آيـــاتِ القرآن الكريم التي تخـــاطب عقل الإنسان ، و تحرك مشاعره ، و تلامس شغافَ قلبِهِ .

لقد انبهر الحـــاضرون حين رأوا ثورةَ أُسيدٍ تتحول وبسرعة مذهلةً إلى سكون ، وغضبهُ إلى هدوءٍ ، وهيجانَهُ إلى وداعةٍ .

و لم يكد مصعب الخير يفرغ من تلاوتـــه حتى هتف

أسيد بن حضير قائلاً: ما أحسنَ هذا القولَ وما أصدقَه.!

و لم يملك حتى اندفع مستفسراً : كيف يصنع من يريد أن يدخلَ في هذا الدين ؟

فأجابه مصعبٌ ﷺ قائلاً : يطهّر ثوبَه وبدنه ، ويشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

فذهب أسيد و لم يغب طويلاً حتى رجع والماء يقطر من رأسه وهو يقول : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

إسلامه :

ويتناقل أهل المدينة نبأ إسلام أسيد بن حضير ، فيصل إلى سعد بن معاذ ﷺ الذي ذهب فوراً يستمع إلى حديث مصعب فأُعجب به ، فاقتنع وأسلم .

و لم يكد سعد بن عبادة سيد الخزرج يسمع بإسلام هذين العملاقين الكبيرين حتى اقتنع بالإسلام فأسلم أيضاً.

وأقبل أهل المدينة يتساءلون : إذا كان أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة وهم سادة أهل المدينة وعمالقتها قد أسلموا، ففيم تخلّفنا ؟ فلننطلقْ جميعاً إلى مصعب فلنبايعه على الإسلام . وبإسلام هؤلاء العمالقة الثلاثة تمت النعمة ، وانتشر الإسلام بين أهل المدينة انتشاراً سريعاً ومباركاً ، وكان ضربةً مؤلمة وقاسية أوجعت اليهود في المدينة وآلمتهم، وهدّدت وجودَهم ، وحدّت من نشاطهم ونفوذهم بين الأنصار .

لقد جعل سعد بن معاذ وأسيدُ بن حضير من نفسيهما داعيةً إلى الإسلام ، فأخذا يدعوان أهل المدينة إلى الإسلام في نشاط الشباب المؤمن الجريء الذي لا يخاف في الله لومةَ لائم .

فكانا يدوران بين أهل المدينة ، ويحطِّمان الأصنام ليزيلا جميعَ مظاهر الشرك والوثنية ، وليجعلا من المدينة

موئلاً للإسلام ومرتعاً سهلاً وواسعاً للإيمان وأهله .

يقول ابن سعد :

(فلما أسلم سعد بن معاذ لم يبق في بني عبد الأشهل أحد إلا أسلم يومئذ ، فكانت دار بني عبد الأشهل أول دار من الأنصار أسلموا جميعاً ، رجالهم ونساؤهم ، وحوّل سعد بن معاذ مصعب بن عمير ، وأبا أمامةَ أسعدَ بن زُرارة إلى داره ، فكانا يدعوان إلى الإسلام في دار سعد بن معاذ . وكان سعدُ بن معاذ وأسعد بن زرارة ابني خالة ، وكان سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير يكسِّران أصنام بني عبد الأشهل)[1] .

وهكذا نرى أن سعد بن معاذ ﷺ من اللحظة الأولى من إسلامه وقف نفسه لخدمة الإسلام ، وجعل منها داعية إلى الله ورسوله وذلك قبل أن يرى النبي ﷺ ويجتمع معه .

---

[1] طبقات ابن سعد .

لقد جعل من نفسه الشمعةَ التي تُضيء للأنصار طريقَ الخير وتهديهم إلى سبيل الهدى والفلاح والنجاح .

فكان العمالقة الثلاثة :

أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة نواةَ الإسلام في المدينة ، والبذرة الطيبة الصالحة التي أينعت ، وأزهرت وآتت أُكُلَها في فترة قصيرة فكانت طيبة عطرة أصلها ثابت وفرعها في السماء .

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ والبلدُ الطيبُ يَخرجُ نباتُهُ بإذنِ ربِّهِ والذي خَبُثَ لا يخرج إلا نكداً ﴾[1].

﴿ فأمّا الزَّبَدُ فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناسَ فيمكُثُ في الأرض كذلك يضربُ اللهُ الأمثال ﴾[2] .

---

[1] الآية ٥٨ من سورة الأعراف .

[2] الآية ١٧ من سورة الرعد .

ثناءُ رسول ا لله ﷺ على الأنصار :

ما أسرعَ تجاوبَ الأنصار مع دعوة الإسلام ، وما أشدَّ تفاعلَهم معه .

فهذا سعدُ بنُ معاذٍ ﷺ أسلمَ وهو في عنفوان شبابه وقِمَّة حيويته ونشاطه .

لقد أسلم وهو ابنُ ثلاثين سنةً فأسلم بإسلامه جميعُ أهل المدينة .

فينزلُ الثناءُ العَطِرُ من ا لله تعالى يقلِّدُ كلَّ فردٍ منهم أوسمةَ الشرفِ والتقدير ، ويخلِّدُ ذكراهم في كتابه العزيز ، فيقول ا لله تعالى : ﴿ **والَّذين تَبَوَّءوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يُحِبُّونَ مَنْ هاجرَ إليهم ولا يَجِدُونَ في صدورهم حاجةً مِمَّا أُوتوا ويُؤْثِرونَ على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ** .. ﴾[1].

---

[1] الآية ٩ من سورة الحشر .

وهـمُ الذيـن قـال فيهـم النـبيُّ ﷺ : « لا يُحبُّهـم إلا مؤمنٌ ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله »[1] .

وقال فيهم : « لو سلكتِ الأنصـارُ واديـاً أو شِـعباً ، لسَلَكْتُ وادي الأنصار وشعبَهم »[2] .

وقال لهم : « أنتم مِنْ أَحَبِّ الناسِ إليَّ »[3] .

ودعا لهم قائلاً :

« اللهم ارحم الأنصارَ وأبناءَ الأنصار »[4] .

فهـمُ الذيـن سـارعوا إلى الإسـلام ، واسـتجابوا لله وللرسول ، وبذلوا كلَّ غالٍ ونفيسٍ في سـبيل الدعـوة إلى الله ، وآمنـوا برسـول الله ﷺ وعـزَّروه ونصـروه واتبعـوا النورَ الذي أُنزلَ معه ، وبايعوهُ ليلةَ العقبةِ على الدفاع عنـه كما يدافعون عـن أنفسـهِم وأبنـائهم وأموالهـم ، في حـين

(١) و (٢) و (٣) و (٤) صحيح مسلم بشرح النووي .

تَنكَّرَ لـه قومُـه و عـادَوه ، وكذَّبـوه ، ولفَّقـوا لــه التّهــم والأكاذيبَ ، ورمَوه بالسحرِ والشعرِ والشعوذةِ والجنون ، وأضْمَروا لهُ ولأصحابهِ العداوةَ والتآمرَ وهمُّـوا بقتلـه ووَأْدِ دعوتِه، وأخرجوه وأصحابَه من ديارهم وأبنائهم بغير حق.

هؤلاء هـمُ الأنصـارُ الجماعـةُ المؤمنـةُ الذيـن تفـرَّدوا بصفات كريمة ، ومزايا نبيلةٍ بلغتْ بهمُ الآفاق .

فهـم يحبـون الله والرسـولَ ، ويحبـون المهـاجرين ولا يجدونَ في صدورهم حاجـةً ممـا أُوتـوا ويؤْثـرون علـى أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

قال أحدُ الباحثين الإسلاميين :

(وهـذه كذلـك صـورةٌ وضيئـةٌ صادقـة تُـبرز أهــمَّ الملامـحَ المميزة للأنصـار ، هـذه المجموعــة الــتي تفــرَّدت بصفات ، وبلغت إلى الآفـاق ، لـولا أنّهـا وقعـتْ بـالفعل لَـحَسِبَهـا الناسُ أحـلامــاً طـائـرةً ورؤىً مـجنحـة ، ومُثلاً

عليا صاغها خيال محلّق) ..

إلى أن قال بعد أن استعرض الآية الكريمة بالتعليق والتحليل :

(ولم يَعرف تاريخُ البشرية كلُّه حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم ، وبهذا البذل السخيِّ ، وبهذه المشاركة الرضية ، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء .

حتى لَيروى أنه لم ينزل مهاجريٌّ في دار أنصاريّ إلا بقُرْعَة ، لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثرُ من عدد المهاجرين) .

وحين آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار أَعطى الأنصارُ بيوتَهم لإخوانهم المهاجرين ، حتى بلغ الوفاءُ ببعضهم أن يتنازلَ لأخيه المهاجر عن زوجته ،

فإن كان عنده أكثر من زوجة قال له :

اختر إحداهما كي أطلِّقَها لتتزوجَها .

فهل في دنيا الناس كلِّها إيثارٌ كهذا الإيثار ؟

وهل في دنيا البشرية كلها حبٌّ كهذا الحب ؟ وإخلاصٌ كهذا الإخلاص ؟ ووفاء كهذا الوفاء ، وصدق كهذا الصدق ، وإيمان كهذا الإيمان ؟

﴿ **ويُؤْثِرونَ على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ ، والإيثارُ على النفس مع الحاجة قِمّةٌ عليا وفضيلة عظمى لم تبلغها أمةٌ من الأمم ، ولكنّ الأنصار بلغوها ، بلغوا ما لم تشهدِ البشريةُ له نظيراً ، بلغوا قمةَ الفضائل في صورة خارقةٍ لمألوف البشر في كل زمان .

وكذلك كان المسلمون يداً واحدةً ، وقلباً واحداً ، وصفاً واحداً وشعوراً واحداً ، وإحساساً واحداً وجسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الجسد بالسهر

والحمى .

وصدقَ رسولُ الله ﷺ في وصفه الرائع والدقيق للمسلمين حيث قال : « مَثَلُ المؤمنين في تَوادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمّى » .

جهادُه :

وكما كان سعدُ بنُ معاذ ﷺ داعيةً إلى الله ورسوله ومجاهداً في سبيل الله بفكره ، كان مجاهداً في سبيل الله بسيفه فلقد شهد غزوةَ بدرٍ وأُحُدٍ والأحزاب وفي كلِّ غزوة كان له موقفٌ مشَرِّفٌ ومشهودٌ .

١ - موقفه يوم بدر :

لما كان يومُ بدرٍ وتجهّزَ المسلمون لأوَّل مواجهةٍ مسلحة مع المشركين ، وقف النبيُّ ﷺ يتفحّصُ الوجوهَ المؤمنة التي استجابت لله والرسول ، وقَدِمتْ إلى بدر لاعتراض عِيْرِ قريش ، وأخَذ النبي ﷺ يستشير أصحابَه ، ذلك أنه قد استنفرهم لاعتراض طريق قافلة قريش ، ولكن حين استطاع أبو سفيان زعيمُ القافلة أن يُغَيِّرَ طريقَه ، وينجوَ بالقافلة ، كانت قريش قد قدمتْ إلى بدر

للدفاع عن القافلة التي فيها أموالُهم .

وحين علم المشركونَ بنجاة القافلة ، صمَّم عدوُّ الله أبو جهل على مواجهة المسلمين الذين فوجئوا بالقتال ، لأنهم إنما خرجوا لاعتراض طريق القافلة و لم يخرجوا للقتال ، فلو أنهم علموا بذلك لأعدُّوا له عُدَّتَه أو حسبوا له ألف حساب .

غير أن النبي ﷺ استطاع بحكمته وحسنِ سياسته وتدبيره أن يتغلَّبَ على هذا الفتورِ العارض ، وأن يقنعَ أصحابَه بضرورة تَعَقُّبِ المشركين مهما يكن بُعْدُ الشُّقَّة وفداحةُ المشقة .

فتحمَّسوا جميعاً لقبول التحدي والمواجهة . وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وإذ يَعِدُكمُ اللهُ إحدى الطائفتينِ أنَّها لكم وتودُّونَ أنّ غيرَ ذاتِ الشَّوكةِ تكونُ لكم ويريدُ اللهُ أنْ

يُحِقَّ الحقَّ بكلماته ويقطعَ دابرَ الكافرين * لِيُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطلَ ولوكره المجرمونَ ﴾[1] صدق الله العظيم .

وأخذَ النبيُّ ﷺ يطبِّقُ مبدأَ الشورى الذي أُمِر بتطبيقه فقام أبو بكر رضي الله عنه فتكلم وأجاد ، ثم قام عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه فتكلَّم وأجاد .

ثم قام المقدادُ بن عمرو رضي الله عنه فقال :

(يا رسول الله ، امضِ لِمَا أراكَ اللهُ فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيلَ لموسى : **﴿ ... اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾**[2] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سِرْتَ بنا إلى برك الغماد[3] لجالدنا

---

[1] الآيتان ٧ ـ ٨ من سورة الأنفال .

[2] الآية ٢٤ من سورة المائدة . ونصُّها : **﴿ قالوا يا موسى إنّا لنْ ندخلَها أبداً ما داموا فيها فاذهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون ﴾** .

[3] برك الغماد : موضع بناحية اليمن .

معك مِنْ دونهِ حتى تبلغَه) .

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له به .

فأراد النبيُّ ﷺ أن يستجليَ موقفَ الأنصارِ لأنهم يُمَثِّلون أغلبيةَ الجيشِ الإسلامي ، ولأن ثقلَ المعركة سيدور على كواهِلِهم كما أنَّ نصوصَ بيعةِ العقبة لم تكن تُلزمهمْ بالقتال خارجَ المدينة .

من أجل ذلك كرَّر النبيُّ ﷺ مقالتَه : « أشيروا عليَّ أيُّها الناس » ..

هنا يجيءُ دورُ سعدِ بنِ معاذ ﷺ الذي فهم بذكائه وفطنته ما يقصدُ النبيُّ ﷺ بكلامه ، فقال : والله لكأنك تريدُنا يا رسول الله ؟

قال : أَجَلْ .

فقال سعد ﷺ :

(لقد آمنّا بك وصدَّقناك ، وشهدنا أنّ ما جئتَ به

هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمعِ والطاعة ، فامضِ يا رسولَ الله لِمَا أردت فنحنُ معكَ ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضتَه لخُضناه معك ما تخلّفَ منا رجلٌ واحدٌ ، وما نكرهُ أن تلقى بِنَا عدوَّنا غداً ، إنّا لصُبُرٌ في الحرب ، صُدُقٌ في اللقاء ، ولعلّ الله يُرِيكَ منا ما تَقَرُّ به عينُك ، فَسِرْ بنا على بركة الله) .

فَسُرَّ رسولُ الله ﷺ ، وتهلّل وجهُه بالبِشرِ ، وتألّقت على شفتيه ابتسامةٌ حلوة شاكرة ، وقال لأصحابه : « سيروا وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، العِيْر أو قريش ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم » .

لقد كانت كلمات سعد بن معاذ ﷺ تخرج من فؤاده ولسانه صادقةً رائعة أثارت حماسَ المقاتلين المسلمين،

ورفعت معنوياتِهمُ القتاليةَ ، وكان لها الأثرُ الكبيرُ والفعّال في تشجيع المسلمين ، الذي كانت من نتائجه النصرُ السريع والمفاجئ للمسلمين ، والهزيمةُ المنكَرَةُ والبشعة للمشركين ، حيث قُتل منهم سبعون فارساً ، وأُسِرَ سبعون آخرون ، ومَن بقي منهم فرَّ إلى مكة متوَّجَاً بالخزي والعار يَجُرُّ أذيالَ الخيبة والهزيمة ...

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا مِنْ ديارهم بَطَراً ورِئَاءَ الناس ويصُدُّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط * وإذ زَيَّنَ لهمُ الشيطانُ أعمالَهم وقال لا غالبَ لكمُ اليومَ من الناس وإني جارٌ لكم فلمّا تراءتِ الفئتان نَكَصَ على عقبيه وقال إنّي بريءٌ منكم إني أرى ما لا تَرَونَ إني أخافُ اللهَ واللهُ شديدُ العقابِ ﴾[1] .

---

[1] الآيتان ٤٧ ـ ٤٨ من سورة الأنفال .

٢ـ موقفه يوم أحد :

وكذلك كان له يومَ أُحُدٍ موقفٌ رائعٌ ومشهود لا يَقِلُّ بطولةً وتضحيةً عن موقف يوم بدر .

فحين سمع المسلمون إشاعةَ مقتل النبي ﷺ وانفضَّ بعضُهم من حوله وهربوا إلى المدينة ،كان سعد بن معاذ ﷺ من جملة الصحب الكرام الذين صدَقوا ما عاهدوا الله عليه ، ووقفوا يدافعون عن النبي ﷺ بكل ما أُوتوا من قوة وشجاعة .

لقد وقف إلى جانب النبي الكريم ﷺ يذودُ عنه ويدافع في بسالةٍ لم يُعْرَفْ لها نظيرٌ ، ورأى النبيَّ ﷺ يدافع عن نفسه ، ويردُّ جموعَ المشركين بسيفه ، وكأنه بمفرده جيشٌ بكامله ، وسمعه يقول : « كيف يفلح قومٌ خضبوا وجهَ نبيهم ؟!! » .

فكان هذا حافزاً لسعد ﷺ أن يضاعفَ جهوده ،

ويزداد شجاعة واستبسالاً في الدفاع عن رسول الله ﷺ .

٣ً- موقفه يوم الخندق :

ومَن رآه يومَ الخندق رأى من آياتِ صدقه وعظمة نفسه ما يجعله قدوةً لجميع شباب الإسلام ورجاله .

وذلك حين تجمّعت الأحزاب من قبائل المشركين واليهود وهجموا على المدينة للقضاء على المسلمين ، وقَتْلِ النبيِّ ﷺ ، ووأْدِ دعوته ، بعثه النبي ﷺ ومعه سعد بن عبادة ، وعبدالله بن رواحة ، وخوّات بن جبير ، وقال لهم : انطلقوا إلى بني قريظة ، فإن كان ما قيل لنا حقاً، فالحنوا لنا لحناً ولاتفتوا في أعضادِ الناس - أي الغزوا لنا لغزاً ولا تنشروه بين الناس كي لا يتسرب الخبر - وإن كان كذباً فاجهروا به للناس .

وذلك للتأكد من أن بني قريظة دخلوا مع الأحزاب، ونقضوا عهودهم ومواثيقهم التي اتفقوا عليها مع النبي ﷺ.

فانطلقوا إلى بني قريظة فوجدوهم على أخبث ما قيل عنهم ، وعلموا أنهم قد نقضوا عهودهم ومواثيقهم ، وخانوا أماناتهم ، ونالوا من رسول الله ﷺ ، وقالوا : لا عهد له عندنا .

فجعل سعد بن معاذ رضي الله عنه يشتمهم ، وكانت فيه حِدَّةٌ وغيرة على الإسلام والمسلمين ، وكراهية ونقمة على اليهود .

فقال له سعد بن عبادة رضي الله عنه : دع عنك مشاتمتهم فالذي بيننا وبينهم أكثر من ذلك .

ثم رجع سعد بن معاذ رضي الله عنه وأصحابه ليخبروا النبيَّ ﷺ بما فعل اليهود .

وحين اشتد على المسلمين الخوفُ ، وعَظُمَ عليهم البلاءُ ، ورأى النبيُّ ﷺ ما نزل بأصحابه ، أشفق عليهم ، وأحبَّ أن يعالجَ الأمور بالحكمة والكياسة ، ويُجَنِّبَ

المسلمين خطر المواجهة مع الأحزاب الذين جاؤوا بحدِّهم وحديدهم يحاربون الله ورسوله ، قال الله تعالى : **﴿ إذْ جاءتْكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تَرَوْها وكان الله بما تعملون بصيراً * إذْ جاؤوكم مِنْ فوقكم ومِنْ أسفلَ منكم وإذْ زاغتِ الأبصارُ وبَلَغتِ القلوبُ الحناجرَ وتظنون بالله الظنونا * هنالكَ ابتُلِيَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً ﴾**[1] صدق الله العظيم .

فبعث النبي ﷺ إلى عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف قائدي غطفان ، فصالحهما على ثلث ثمار المدينة ، لينصرفا بجيشهما ويخذلا قريشاً فقبلا منه ذلك ، فاستشار النبي ﷺ سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة .

فقالا : يا رسول الله هذا أمرٌ تحبُّه فنصنعه لك ؟ أو شيءٌ أمركَ اللهُ به فنسمع له ونطيع، أو أمرٌ تصنعه لنا ؟

---

[1] الآيات ٩ - ١٠ - ١١ من سورة الأحزاب .

قال : بل أمر أصنعه لكم ، وا لله ما أصنعه إلا أني قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة .

فقال سعد بن معاذ : يا رسول ا لله وا لله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك با لله وعبادة الأوثان ، ولا نعبد ا لله ولا نعرفه وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة إلا شراءً أو قِرى ، فحين أكرمنا ا لله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك نعطيهم أموالَنا ؟!! وا لله لا نعطيهم إلاّ السيفَ حتى يحكم ا لله بيننا وبينهم ..

وتناول الصحيفة فمحاها ...

فَسُرَّ النبيُّ ﷺ بذلك .

نهايةُ بني قريظة :

بعد أن زلزل الله تعالى الأحزابَ وأرسل عليهم ريحاً شديدةً عاتيةً في ليلةٍ باردة ، أكفأتْ قدورَهم ، وقلعتْ خيامَهم ، وملأت بالرمال عيونَهم ، وألقتِ الرعبَ في قلوبهم ، أفقدتْهم صوابَهم ، وجعلتهم حيارى من أمرهم ، حتى إنّ أحدَهم إذا اصطدم بآخرَ لم يعرفْه لشدّةِ ما أُصيبوا من الخوف والذعر ، ﴿ **وكفى الله المؤمنينَ القتالَ وكان اللهُ قويّاً عزيزاً** ﴾[1] صدق الله العظيم .

أصبح رسولُ الله ﷺ فرأى أن الأحزابَ قد ذهبوا ، فرجع إلى المدينة ، وأمر أصحابَه أن يضعوا أسلحتَهم .

فأتاه جبريلُ عليه السلام في صورة رجلٍ يقالُ له (دِحية

---

[1] الآية ٢٥ من سورة الأحزاب .

الكلبي) راكباً على فرَس ، فقال : يا محمد : إن كنتم قد وضعتُم سلاحَكم فما وضعتِ الملائكةُ سلاحَها ، إن الله يأمرُك أن تخرجَ إلى بني قريظة ، وإني متقدّمٌ إليهم فمزلزلٌ بهم حصونَهم .

فأمر النبيُّ ﷺ منادياً ينادي في القوم : « لا يُصلِّيَنَّ العصرَ أحدٌ إلاّ في بني قريظة » .

فاستجاب المسلمون لأمر النبيِّ ﷺ على الرغم من التعب الذي لحقهم ، والجوع الذي أصابهم .

وانطلق النبيُّ ﷺ بأصحابه حتى وصل بني قريظة ، فقال لهم : « نقضتُمُ العهدَ يا إخوة القردة والخنازير ، أخزاكمُ اللهُ وأنزل بكم نقمتَه » ..

فقالوا : ما كنتَ جاهلاً يا أبا القاسم ، فلا تجهلْ علينا .

فحاصرهمُ النبيُّ ﷺ بضعاً وعشرين ليلةً ، فلما أيقنوا

أنه لن يفكَّ عنهمُ الحصارَ ، ولن ينصرفَ عنهم حتى يناجزهم ، قال لهم زعيمُهم كعبُ بنُ أسدٍ : يا معشرَ اليهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارضٌ عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيّها شئتم .

قالوا : وما هي ؟

قال : نتابعُ هذا الرجلَ ونصدّقه ، فوالله لقد تبيّن لكم أنه لنبيٌّ مرسَلٌ ، وأنه لَلَّذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم .

فقالوا : والله لا نفارقُ حكمَ التوراة أبداً ، ولا نستبدلُ به غيرَه .

قال : فإذا أبيتُم عليَّ هذه فهلمَّ فلْنقتلْ أبناءَنا ونساءَنا ، ثم نخرجُ إلى محمدٍ وأصحابه رجالاً بالسيوف مصلتين لم نتركْ وراءَنا ثقلاً حتى يحكمَ الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلكْ ؛ نهلكْ ولم نتركْ وراءَنا نسلاً نخشى

عليه ، وإن نظهرْ ؛ فلعمري لنجدَنَّ النِّساءَ والأبناء .

قالوا : أنقتُلُ هؤلاء المساكينَ ، فما خيرُ العيش بعدَهم ؟!!

قال : فإن أبيتُم عليَّ هذا ، فالليلة ليلةُ السبت وإنه عسى أن يكونَ محمدٌ وأصحابُه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيبُ من محمد وأصحابه غرّةً .

قالوا : أنفسدُ سبتَنا ونُحْدِثُ فيه ما لم يُحدِثْ فيه مَنْ كان قبلَنا إلاّ من قد علمتَ فأصابه ما لم يخفَ عليك من المسخ .

فقال : ما بات رجلٌ منكم منذ وَلَدتْه أمُّه ليلةً من الدهر حازماً .

فلم يبقَ لبني قريظة بعد ردِّ هذه الخصالِ الثلاثِ إلاّ أن يُذعنوا للأمر وينزلوا على حكم رسول الله ﷺ .

خبرُ أبي لبابة ﷺ :

لكنهم قبل أن يتفقوا على النزول على حكم رسول الله ﷺ أرادوا أن يتّصلوا ببعض حلفائهم من المسلمين، لعلهم يعرفون منه ما سيحلُّ بهم إذا قبلوا ذلك.

فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن أرسلْ إلينا أبا لبابةَ نستشيره ، ففعل .

وكان أبو لبابة حليفاً قديماً لهم ، وكانت أمواله وأولادُه عندهم .

فلما رأوه مقبلاً إليهم ، قام إليه الرجالُ ، وجعل النساءُ والصبيانُ يبكون في وجهه ، فرقَّ لهم ﷺ ، وحزن عليهم .

فقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزلَ على حكم محمد ؟

قال : نعم .

وأشار بيده إلى حلْقه ،كأنه يقول : إنه الذبحُ إن نزلتُم على حكمهِ ، ولكنه لم يلبثْ أن ندمَ على ما فعل ، وأدرك أنه قد خان الله والرسولَ ، فمضى على وجهه ولم يرجعْ إلى رسول الله ﷺ خجلاً منه .

فدخل المسجدَ النبويَّ فربط نفسَه بسارية المسجد ، وأقسمَ أن لا يحلّه إلاّ رسولُ الله ﷺ .

ومكث على هذه الحالة ستَّ ليالٍ تأتيه امرأتُه في وقتِ كلِّ صلاةٍ فتحلُّه للصلاة ، ثم يعود فيرتبط .

وفيه أنزل الله عز وجل قولَه :

﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسولَ وتخونوا أماناتِكم وأنتم تعلمون ﴾[1].

فبلغ رسولَ الله ﷺ خبرُهُ ، وكان قد استبطأه ،

---

[1] الآية ٢٧ من سورة الأنفال .

فقال : أمَا إنه لو جاءني لاستغفرتُ له ، أما إذ قد فعل ما فعل فلا أطلقُه حتى يطلقَه الله تعالى .

ثم نزلتْ توبتُه على رسول الله ﷺ سَحَراً وهو في بيت أمِّ سلمة ، قال الله تعالى :

﴿ وآخرونَ اعترفوا بذنوبهم خلطوا عاملاً صالحاً وآخرَ سيئاً عسى الله أن يتوبَ عليهم إن الله غفورٌ رحيم ﴾[1].

فقامتْ أمُّ سلمة رضي الله عنها على باب حجرتها وقالت : يا أبا لبابةَ ، أبشرْ فقد تابَ اللهُ عليك .

فقام بعضُ المسلمين ليُطلقوه ، فأبى أن يطلقَه أحدٌ إلاّ رسولُ الله ﷺ .

فلمّا مرَّ به النبيُّ ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقَه واستغفرَ اللهُ له .

---

[1] الآية ١٠٢ من سورة التوبة .

فاعتذر إليه أبو لبابة ، وأعلن توبتَه أمامَه .

ولكن كيف أصبح مصيرُ بني قريظة ..؟

إن النبيَّ ﷺ لـن يدَعَهـم بـدون عقـابٍ لغدرهـم وخيـانتِهم ، ونقضِهـم العهـودَ والمواثيـقَ ، وهـذا يعـني استهتارَهم بعهـد النـبيِّ ﷺ ، وعـدم احـترامِهم لـه ، والتزامِهم به .

وفي الصفحـات التاليـة سـوف نعـرفُ مصـيرَهم ، وما حلَّ بهم ...

حكم سعد ﷺ على بني قريظة :

ما على بني قريظة بعد هذا إلاّ أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ .

لقد تواثبتِ الأوسُ عليه وقالوا : يا رسولَ الله ، قد علمتَ أنهم حلفاؤنا ، وقد أسعفتَ عبدَ الله بنَ أبيّ بن سلول في بني النضير حلفاءِ الخزرج ، فلا يكُنْ حظُّنا أَوْكسَ[1] عندك من حظِّ غيرنا، فهمْ مَوالينا ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « ألا تَرضَوْنَ يا معشرَ الأوس أن يحكمَ فيهم رجلٌ منكم ؟ »

قالوا : بلى .

قال : إنه سعدُ بنُ معاذ .

فجيءَ بسعد ، وكان قد أُصيبَ يومَ الخندق .

---

[1] أوكس : أنقصُ حظاً .

فقال له المسلمون ، يا أبا عمرو ، أحسنْ في مواليك، فإن رسولَ الله ﷺ إنما ولاّك ذلك لتحسنَ فيهم.

فلمّا أكثروا عليه القولَ ، وألحُّوا عليه في الطلب ، قال : قد آنَ لسعدٍ أن لا تأخذَه في الله لومةُ لائم .

ثم قال لرسول الله ﷺ :

(فإني أحكمُ فيهم أن تُقتلَ الرجالُ ، وتقسمَ الأموالُ ، وتُسبَى الذّراري والنساء) .

فقال له النبيُّ ﷺ :

« لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات» .

لماذا ؟؟...

لأنهم خانوا العهودَ والمواثيق أكثرَ من مرّة ، وتآمروا على الإسلام ، وعاونوا الأحزابَ على حرب المسلمين وإبادتِهم في أحرجِ ظرفٍ كانوا يمرُّونَ به في حياتِهم .

ولقد أصبحوا بغدرهم هذا من مجرمي الحروب الذين يستحقُّون المحاكمةَ والإعدام والإبادةَ ، ذلك أن الله تبارك وتعالى يقولُ :

﴿ الذينَ عاهدتَ منهم ثم ينقضونَ عهدَهم في كلِّ مرَّةٍ وهم لا يتّقون * فإمَّا تثقفنّهم في الحربِ فشرِّدْ بهم مَنْ خلفَهم لعلَّهم يذَّكَّرون * وإمَّا تخافنَّ من قومٍ خيانةً فانْبِذْ إليهم على سواءٍ إنّ الله لا يحبُّ الخائنين ﴾[1]

صدق الله العظيم .

تنفيذ حكم سعد رضي الله عنه :

وجِيءَ برجال بني قريظة بعد أن حُفِرَتْ لهم أخاديدُ في سوق المدينة ، فكان يُدْفَعُ بهم إلى تلك الأخاديدِ أرسالاً ، فتُضرَبُ فيها أعناقُهم ، فقال بعضُهم لزعيمهم

[1] الآيات ٥٦ ـ ٥٨ من سورة الأنفال .

كعبِ بنِ أسد : ما تراهُ يُصنَعُ بنا ؟!

فقال : أفي كلِّ موضعٍ لا تعقلون ؟!! أما ترونَ الداعيَ لا ينزعُ ، والذاهبَ منكم لا يرجع ..؟ هو والله القتلُ ..

وكانوا بين الستمئة إلى السبعمئة ، فضُربتْ أعناقُهم جميعاً ، ثم جِيءَ بعدوِّ الله حُيَيِ بنِ أخطبَ مجموعةً يداهُ إلى عنقه ، فنظر إلى رسول الله ﷺ وقال له :

أمَا والله ما لُمْتُ نفسي في عداوتك ، ولكنْ مَنْ يَخذلِ اللهُ يُخْذَلْ .

ثم أقبل على الناس فقال لهم :

أيها الناسُ ، إنه لا بأسَ بأمر الله ، كتابٌ وقدرٌ ، وملحمةٌ كتبها اللهُ على بني إسرائيل .

ثم جلس فضُرِبَتْ عُنُقُه ..

قال الله تعالى :

﴿ ورَدَّ اللهُ الذينَ كفروا بغيظِهم لم ينالوا خيراً وكفى اللهُ المؤمنين القتالَ وكان اللهُ قويّاً عزيزاً * وأنزل الذينَ ظاهروهم من أهلِ الكتابِ من صَياصِيهم وقذفَ في قلوبهمُ الرعبَ فريقاً تقتلون وتأسِرونَ فريقاً* وأورثَكم أرضَهم وديارَهم وأموالَهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كلِّ شيءٍ قديراً ﴾[1] صدق اللهُ العظيم .

وهكذا حُكِمَ على رجال يهودِ بني قريظةَ بالقتل فقُتِلوا ، وأراح اللهُ المسلمين من غدرهم وشرورهم وكيدهم وخيانتِهم ، ولقد استحقُّوا الجزاءَ العادل وذلك جزاءُ الكافرين .

ولقد جعل الله تعالى الحقَّ على لسان سعدِ بن معاذ ﷺ فنطق بحكم الله على بني قريظة ، وأقرَّه النبيُّ ﷺ على حكمه ، ونفّذ له هذا الحكم .

---

[1] الآيات ٢٥ ـ ٢٧ من سورة الأحزاب .

وفاة سعدِ بن معاذ ﷺ :

خرج سعدُ بنُ معاذ ﷺ يومَ الأحزاب حـاملاً سيفَه ورُمحَه وهو ينشدُ قائلاً :

لبِّثْ قليلاً يشهدِ الـهيجا جـمـلْ

ما أجملَ الـموتَ إذا حـانَ الأجــلْ

تقـولُ السـيدةُ عائشـةُ رضـي ا للهُ عنهـا ، وكـانت أمُّ سعدِ بنِ معاذ معها في حصـن بـني حارثـة : فمـرَّ سـعدٌ وعليه درعٌ له مقلصـةٌ قـد خرجـتْ منهـا ذراعُـه كلُّهـا ، وفي يده حربتُه يركض بها .

فقالت له أمُّه : الحَقْ ، أي بنيّ ، فقد وا لله أُخِّرتَ .

قالت عائشةُ رضي ا للهُ عنها: فقلتُ لها: يا أمَّ سعدٍ، وا لله لودِدْتُ أن درعَ سعدٍ كانت أسبغَ[1] مما هي .

---

[1] أسبغ : أطول وأكمل .

وفجأةً يصيبُه سهمٌ في ذراعه رماه به حبانُ بنُ قيس ابنُ العرقة ، فقطع منه الأكحلَ ـ وهو عرقٌ في الذراع ـ فلما أصابه قال : خذها مني وأنا ابنُ العَرِقة .

فقال له سعدٌ ﷺ : عَرَّقَ الله وجهَك في النار .

وجعل الدّمُ يتفجّرُ من وريده ، فأسرع إليه بعضُ الصحابة فحمَلوه إلى النبيِّ ﷺ ، فأمر أن تُنصَبَ له خيمةٌ ليكونَ قريباً منه دائماً ، فكان ﷺ يعودُه في كلِّ يوم .

ولما ضُرِبَتْ له الخيمةُ في مسجد رسول الله ﷺ ، رفعَ بصرَه إلى السماء وقال :

(اللهمّ إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأبقِني لها ، فإنه لا قومَ أحبُّ إليَّ أن أجالدَهم من قومٍ آذَوا رسولَك وكذّبوه وأخرجوه ...

اللهم إن كنتَ قد وضعتَ الحربَ بيننا وبينَهم فاجعله لي شهادةً ، ولا تُمِتْني حتى تُقِرَّ لي عيني من بني

قريظة) .

ولما حكم على بني قريظة بقتل رجالهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم ، وتقسيم أموالِهم أقرَّ الله عينَه ، وشفى صدرَه ، وأجابَ دعاءَه ، فانفجر جرحُه من الليل وجعل الدمُ يسيلُ حتى مات شهيداً مجيداً ﷺ وأرضاه .

فنزل جبريلُ ﷺ على النبي ﷺ فقال : يا محمدُ ، مَنْ هذا الميتُ الذي فُتِحتْ له أبوابُ السماء ، واهتزَّ له العرشُ ؟!

فقام النبيُّ ﷺ مسرعاً يجرُّ ثوبَه إلى سعدِ بنِ معاذ فوجده قد مات ﷺ وأرضاه ، فألقى عليه النبيُّ ﷺ نظرةَ وداعٍ وقال : « هنيئاً لك يا أبا عمرو » .

ولقد جاء في روايةٍ أخرى أن النبيَّ ﷺ جاءه جبريلُ ﷺ حين استيقظَ من نومه ، فقال له : مَنْ رجلٌ من أمتك مات الليلةَ استبشرَ بموته أهلُ السماء ؟

قال : لا أعلم ، إلاّ أن سعداً أمسى دَنِفاً[1].

ثم قال : ما فعل سعدٌ ؟

قالوا : يا رسول الله ، قد قُبِضَ .

فلمّا صلّى النبيُّ ﷺ الصبحَ خرج إلى سعد ومعه الناسُ ، فكان النبيُّ ﷺ يمشي مسرعاً ، والناس يمشون خلفه حتى إنّ نعالَهم لتتقطّعُ من أرجلهم ، وإن أرديتَهم لتقعُ عن عواتقهم ، فقال له رجلٌ من أصحابه :

يا رسول الله ، قد بَتَتَّ الناسَ .

فقال : « إني أخشى أن تسبقَنا إليه الملائكةُ كما سبَقَتْنا إلى حنظلة » .

وهنالك روايةٌ أخرى في طبقاتِ ابنِ سعد أنّ جرحَ سعد ﷺ حين انفجر بلغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فأتاه ، فأخذَ

---

[1] دَنِفٌ : مريضٌ .

رأسَه فوضعه في حِجرِه ، وكان قد سُجِّيَ[1] بثوبٍ أبيضَ إذا مُدَّ على وجهه خرجتْ رجلاه ، وكان رجلاً أبيضَ جسيماً ، فقال رسولُ الله ﷺ :

« اللهم إنّ سعداً قد جاهدَ في سبيلك ، وصدّقَ رسولَك ، وقضى الذي عليه ، فتقبَّلْ روحَه بخير ما تقبَّلْتَ به روحاً » .

فلمّا سمع سعدٌ دعاءَ رسولِ الله ﷺ فتح عينيه ثم قال : السلام عليك يا رسولَ الله ، أمَا إني أشهدُ أنكَ رسولُ الله .

فقال له رسولُ الله ﷺ :

« هنيئاً لك يا أبا عمرو ، هنيئاً لك يا أبا عمرو ، هنيئاً لك يا أبا عمرو » .

---

[1] سُجِّيَ : غُطِّيَ .

مناقبُه وفضائله :

ذكر ابنُ سعدٍ في الطبقات بسنده عن سلمةَ بنِ أسلمَ ابن حريس قال :

(رأيتُ رسولَ الله ﷺ ونحن على الباب نريدُ أن ندخلَ على أثَره ، فدخل رسول الله ﷺ وما في البيت أحدٌ إلاّ سعدٌ مُسَجَّى ، قال : فرأيتُه يتخطّى ، فلما رأيتُه وقفتُ ، وأومأ إليّ : قفْ ، فوقفتُ وردَدْتُ مَنْ ورائي ، وجلس ساعةً ثم خرج ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، ما رأيتُ أحداً ، وقد رأيتُك تتخطّى !!

فقال رسولُ الله ﷺ : « ما قدرتُ على مجلسٍ حتى قبض لي ملَكٌ من الملائكةِ أحدَ جناحيه فجلستُ » .

ورسولُ الله ﷺ يقول : « هنيئاً لك يا أبا عمرو ، هنيئاً لك يا أبا عمرو ، هنيئاً لك يا أبا عمرو ») .

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال :

(فانتهى رسولُ الله ﷺ وأمُّ سعدٍ تبكي وهي تقول:

ويلُ امِّ سعد سعداً جَلادةً وجِدّاً

فقال عمرُ بن الخطاب : مهلاً يا أمَّ سعد ، لا تذكري سعداً .

فقال النبيُّ ﷺ : « مهلاً يا عمرُ ، فكلُّ باكيةٍ مُكَذَّبةٌ إلاّ أمَّ سعدٍ ما قالت من خيرٍ فلم تكذب ») .

وعن أبي أمامةَ بن سهل بن حنيف عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، أن أهلَ قريظةَ لما نزلوا على حكم رسول الله ﷺ أرسلَ إلى سعدٍ - وكان مريضاً من السهم الذي أصابه يوم الخندق - فجاء سعدٌ على حمارٍ ، فلمّا دنا ، قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيِّدكم ، أو إلى خيركم » .

فقال : « يا سعدُ ، إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك

.. الخ ... » .

وعن عبد الله بن شدّاد قال :

(دخل رسولُ الله ﷺ على سعدِ بنِ معاذٍ وهو يجود بنفسه فقال : « جزاك الله خيراً من سيدِ قومٍ فقد أنجزتَ الله ما وعدتَهُ ، ولَيُنجزنَّك الله ما وعدَك ») .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

(قال سعدُ بنُ معاذ : ثلاثٌ أنا فيهنّ رجلٌ :

ـ يقولُ ابنُ عباس في تفسيرها : يعني كما ينبغي وما سوى ذلك فإنه رجلٌ من الناس ـ

ما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ حديثاً قطُّ إلاّ علمتُ أنه حقٌّ من الله .

ولا كنتُ في صلاةٍ قط ، فشغلتُ نفسي بغيرها حتى أقضيَها .

ولا كنتُ في جنازةٍ قطُّ ، فحدّثتُ نفسي بغير

ما تقول ويقالُ لها حتى أنصرفَ عنها) .

قال سعيد بنُ المسيَّب معلِّقاً على هـذه الكلمـات :
(وإنه لصادقٌ فيما يقول : هذه الخصالُ ما كنتُ أحسبُها
إلاّ في نبيّ) .

خاتمة

في ذكر كراماته بعد وفاته ﷺ :

عن سعد بن إبراهيم قال :

(لما أخرج سريرُ سعدٍ قال ناسٌ من المنافقين : ما أخفَّ جنازةَ سعد .. أو قالوا : سريرَ سعد ..؟!!

فقال رسولُ الله ﷺ : « لقد نزل سبعون ألفَ مَلَكٍ شهدوا جنازة سعد ، ما وطِئوا الأرضَ قبل اليوم ») .

قال : (وحضره رسولُ الله ﷺ وهو يُغَسَّلُ ، فقبضَ ركبتَه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « دخل ملَكٌ فلم يكن له مكان فأوسعتُ له ») .

قال : (وأمُّه تبكي وهي تقول :

ويلُ امِّ سعدٍ سعدا   براعةً ونجدا
بعد أيادٍ يا له ومجدا   مقدّماً سدَّ به مسَدَّا

فقال رسولُ الله ﷺ : « كلُّ البواكي يكذبنَ إلاّ أمَّ سعد ») .

وعن الحسن قال :

(لما مات سعدُ بنُ معاذ، وكان رجلاً جسيماً جزلاً، جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريره يقولون : لم نرَ كاليوم رجلاً أخفَّ .

وقالوا : أتدرونَ لِمَ ذلك ؟ ذاك لحكمه في بني قريظة .

فذكرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال :

« والذي نفسي بيده ، لقد كانت الملائكةُ تحملُ سريرَه ») .

وعن عبد الله بنِ عمرَ قال :

بلغني أنه شهد سعدَ بنَ معاذ سبعون ألفَ ملكٍ لم ينزلوا إلى الأرض .

وقال رسولُ الله ﷺ : « لقد ضُمَّ صاحبُكم ضمّةً ثم فُرِجَ عنه » .

وقال ﷺ : « لهذا العبد الصالح الذي تحرَّك له العرشُ ، وفُتِحتْ له أبوابُ السماوات ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم ينزلوا الأرضَ قبل ذلك ، ولقد ضُمَّ ضمّةً ثم أُفرِجَ عنه » .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال :

(كنتُ أنا ممن حفر لسعدٍ قبرَه بالبقيع ، وكان يفوح علينا المسكُ ، كلما حفرنا قترةً من تراب حتى انتهينا إلى اللحد) .

وعن محمد بن شرحبيل بنِ حسنة قال :

(أخذَ إنسانٌ قبضةً من ترابِ قبرِ سعدٍ فذهب بها ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسكٌ .

قال : فطلع علينا رسولُ الله ﷺ وقد فرغنا من

حفرته ووضعنا اللَّبِنَ والماء عند القبر ، وحفرنا له عنــد دار عقيلٍ اليوم ، وطلع رســول الله ﷺ علينـا ، فوضعـه عنـد قبره ثم صلّى عليه ، فلقد رأيتُ من الناس ما ملأ البقيعَ .

وقد روي أن رسولَ الله ﷺ وقف عنـد قـبر سـعد ، فلمّا وُضِعَ سعدٌ ﷺ في قبره تغـيّر وجـهُ رسـولِ الله ﷺ ، وسبّح ثلاثاً ، فسبّح المسـلمون ثلاثـاً حتـى ارتـجَّ البقيـعُ . ثم كبّر رسولُ الله ﷺ ثلاثاً ، وكبّر أصحابُه ثلاثاً ، حتـى ارتجَّ البقيعُ بتكبيره .

فسُـئلَ رســولُ الله ﷺ عــن ذلــك ، فقيــل لــه : يا رسول الله ، رأينا بوجهك تغيُّراً ، وسبّحتَ ثلاثاً ؟

فقال : تضــايقَ علـى صـاحبكم قـبرُه ، وضُـمَّ ضمّـةً لو نجا منها أحدٌ لنجا سعدٌ منها ، ثم فرَّج الله عنه) .

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت :

(ما كان أحدٌ أشدَّ فقداً على الـمسلمين بعد رسول

ا لله ﷺ وصاحبيه ، أو أحدِهما ، من سعدِ بن معاذ) .

وعـن أبـي سـعيد الخـدري ﷺ قـال : قـال رسـولُ ا لله ﷺ : « لقد اهتزَّ العرشُ لموتِ سعد » .

وفي رواية جابرِ بنِ عبد ا لله : « لقد اهتزَّ عـرشُ ا لله لـموت سعد بنِ معاذ » .

وفي رواية الحسن : قال رسول ا لله ﷺ : « لقد اهتزّ عرشُ الرحمن لوفاة سعدِ بنِ معاذ ، فرحاً به » .

وعبـارةُ (فرحـاً بـه) ليسـت مـن قـول النـبيّ ﷺ ، بل هي تفسيرٌ من الحسن .

وعن البراء ﷺ قال :

(أُهديَ لرسول ا لله ﷺ ثوبُ حرير ، فجعلنا نلمسُه ونتعجبُ منه ، فقال رسولُ ا لله ﷺ : أيُعجبُكم هذا ؟

قلنا : نعم .

قال : فمناديلُ سعد في الجنة أحسنُ من هذا

وقيل : ألين ، أو أَلينُ من هذا .

وعن واقد بنِ عمرو بن سعدِ بن معاذ ﷺ قال :

(دخلتُ على أنس بنِ مالك ـ وكان واقدٌ من أعظم الناس وأطولِهم ـ فقال لي : مَنْ أنتَ ؟

قال : قلت : أنا واقدُ بنُ عمرو بنِ سعدِ بنِ معاذ .

فقال : إنك بسعدٍ لشبيهٌ .

ثم بكى وأكثرَ البكاءَ ، ثم قال : يرحمُ الله سعداً ، كان سعدٌ من أعظمِ الناس وأطولهم .

ثم قال :

« بعث رسولُ الله ﷺ جيشاً إلى أُكيدر دومة ، فبعث إلى رسول الله ﷺ بجُبَّةٍ من ديباج منسوج بالذهب[1] ، فلبسها رسولُ الله ﷺ ، فجعل الناسُ يمسحونها وينظرون إليها .

---

[1] في لُبس رسول الله ﷺ الذهبَ تفصيلٌ ليس هنا مجال ذكره .. والله أعلم .

فقال رسولُ الله ﷺ : أتعجبون من هذه الجبّة ؟

فقالوا : يا رسول الله ، ما رأينا قطُّ أحسنَ منها .

قال ﷺ :

« فوالله لَمناديلُ سعدِ بنِ معاذ في الجنة أحسنُ مما ترون » .

فرضي الله عن سعدِ بنِ معاذ وعن جميع شهداء المسلمين ، وقبل عملَهم وشكر سعيَهم ، وأدخلهم فسيحَ جناته ...

﴿ .. مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً * ذلك الفضلُ من الله وكفى بالله عليماً﴾[1] صدق الله العظيم .

---

[1] الآيتان ٦٩ ـ ٧٠ من سورة النساء .

تمت الرسالة

والحمد لله رب العالمين

وإلى لقاء مع عملاق آخر من عمالقة الإسلام

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد الله بن مسعود ﷺ

« من أحبَّ أن يسمعَ القرآنَ غَضّاً كما أُنزِلَ فلْيَسْمَعْهُ من ابنِ أمِّ عبد » حديث شريف

اسمه ونسبه :

هو عبدُ الله بنُ مسعودِ بنِ غافل بن حبيب بن شمخ ابن فأر بن مخزوم بن صاهلةَ بنِ كاهل بن الحارث بن تميم ابن سعد بن هُذَيل بن مدركة .

لقبُه :

كان ﷺ يلقّب أبا عبد الرحمن ، وهو هذليٌّ حليفُ بني زهرة ، ذلك أن أباه مسعود بن غافل كان قد حالف في الجاهلية عبدَ الله بنِ الحارث بن زهرة .

وكان معروفاً بين جميع الصحب الكرام ﷺ بأنه صاحبُ سوادِ[1] رسول الله ﷺ ، ووِسادِه ، وسواكه ونعليه وطهوره ، فكان يسترُ رسولَ الله ﷺ إذا اغتسل ، ويوقظُهُ إذا نام ، ويمشي معه في الأرض ، وذلك في السفر.

وعن عبد الله بن شداد : أن عبدَ الله بنَ مسعود كان صاحبَ السواد والوساد والنعلين .

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال : كان عبدُ الله بنُ مسعود يُلبِسُ رسولَ الله ﷺ نعليه ، ثم يمشي أمامه بالعصا ، حتى إذا أتى مجلسَهُ نزعَ نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا .

فإذا أراد رسول الله ﷺ أن يقوم ألبَسَه ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخلَ الحجرةَ قبل رسول الله ﷺ .

وهكذا كان ﷺ يخدم رسول الله ﷺ ، ويلازمه في

---

[1] السواد : السر . والوساد : الفراش .

سفره وحَضَرِهِ ، وكان يدخلُ عليه بيوتَه أكثر مما يدخلُ غيرُه ، ويجالسُه أكثر مما يجالسه غيره من الصحب الكرام ، فكان يظفر من رسول الله ﷺ بفُرَصٍ لم يظفرْ بها سواه .

يقول أبو موسى الأشعري ﷺ : لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ ، وما أرى إلاّ ابنَ مسعود من أهله .

ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ : قال لي رسولُ الله ﷺ : « إذنُك عليَّ أن ترفعَ الحجابَ ، وأن تسمعَ سِوداي[1] حتى أنهاك » .

صفته :

كان ﷺ قصيراً جداً ، نحيفاً ، أسمر .

فعن مولاه نفيع قال : كان عبدُ الله بنُ مسعود من أجودِ الناس ثوباً أبيضَ ، ومن أطيب الناس ريحاً .

[1] سِوادي : سِرِّي .

فكان يُعرَف بالليل بريح الطيب .

وكان كثيرَ التشبُّه برسول الله ﷺ في هديه ودَلِّه وسَمْتِه[1] .

يقول حذيفةُ : إن أشبهَ الناس هدياً ودلاًّ وسمتاً بمحمد ﷺ عبدُ الله بنُ مسعود ، من حيث يخرجُ إلى أن يرجعَ لا أدري ما يصنع في بيته .

وقيل لحذيفة : أخبرنا برجلٍ قريبِ السَّمتِ والهدي من رسول الله ﷺ نأخذ عنه ..

فقال : ما أعرفُ أحداً أقربَ سمتاً ودلاًّ برسول الله ﷺ من ابنِ أمِّ عبد حتى يواريَه جدارُ بيت .

قال : ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابنَ أمِّ عبد من أقربهم إلى الله وسيلة .

---

[1] السَّمْت : حُسن الهيئة والمنظر . والهديُ والدَّلّ : هما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل .

وعن أبي عبيدة ﷺ قال : كان عبد الله إذا دخل الدارَ استأنس ورفعَ كلامَهُ كي يستأنسوا .

إسلامُه :

أسلم عبدُ الله بن مسعود ﷺ قديماً بمكة ، وكان سادسَ ستّةٍ أسلموا واتبعوا رسولَ الله ﷺ ، فكان من السابقين الأوائل الذين فازوا بصحبة المصطفى ﷺ ، وتُوِّجوا بمدح الله تعالى لهم في كتابه العزيز ، حيث يقول الله عزَّ وجلَّ فيهم :

﴿ والسابقونَ الأوَّلونَ من المهاجرينَ والأنصارِ والَّذين اتّبعوهم بإحسانٍ رضي الله عنهم ورَضُوا عنه وأعدَّ لهم جنّاتٍ تجري تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيم ﴾[1] صدق الله العظيم .

---

[1] الآية ١٠٠ من سورة التوبة .

يقول عبدُ الله بن مسعود ﷺ : لقد رأيتُني سادسَ ستّةٍ ما على وجه الأرضِ مسلمٌ غيرُنا .

ولْنُصْغِ إلى عبد الله بن مسعود وهو يحدثُنا عن نبأِ إسلامه، ولقائه برسول الله ﷺ ، يقول :

(كنت غلاماً يافعاً[1] أرعى غنماً لعقبةَ بنِ أبي مُعيط ، فجاء النبيُّ ﷺ وأبو بكر ﷺ ، فقالا : يا غلامُ ، هل عندك من لبن تسقينا ؟

فقلت : إني مؤتَمَنٌ ، ولست ساقيَكما .

فقال النبيُّ ﷺ : هل عندك من شاةٍ حائل لم يَنْزُ عليها الفحلُ ؟

قلتُ : نعم .

فأتيتُهما بها ، فاعتقلها النبيُّ ﷺ ، ومسح الضّرعَ ، ودعا ربَّه فحفل الضرع .

---

(1) يافعاً : شابّاً .

ثم أتاه أبو بكـر بصخـرةٍ متقعّـرة ، فـاحتلب فيهـا ، فشرب أبو بكر ، ثم شـربتُ ، ثـم قـال للضـرع ، اقلِصْ فقلَص .

فأتيتُ النبيَّ ﷺ بعد ذلك ، فقلتُ : علِّمْني مـن هـذا القول ...

فقال : إنّك غلامٌ مُعَلَّـمٌ ، فـأخذتُ مـن فيـه سـبعين سورةً لا ينازعني فيها أحدٌ) .

لقد رأى النبيُّ ﷺ من آياتِ صدقه وإخلاصه وأمانتـه وأماراتِ فطنته وذكائه ، ما يجعلُه موضعَ ثقتِه وحَمْلِ سرِّه حين قال له : إني مؤتمن ، ولست ساقيكما .

ولعلّ رسولَ الله ﷺ انبهر وفُوجـئ حـين سمـع هـذا الجوابَ الصريحَ والجريءَ .

ولعلّه ﷺ كان يبحثُ عن أمثال هذا الفتـى الأمـين ، لأن دعوتَـه تـحتـاجُ إلى شبابٍ أُمنـاء مُلِئوا قوةً ونشـاطـاً

وحيويةً يتجاوبون مع صوت الحق ، ويتفاعلون مع دعوة الخير ، وينهضون مسرعين لمحاربة الشرّ ومقاومة والمنكر في كل مكان .

لقد وجد النبيُّ ﷺ ضالّتَه في شخصِ عبد الله بن مسعود ﷺ ، فأراد أن يختبرَ أمانتَه وذكاءَه ، فطلب منه أن يسقيَهُ اللبنَ ، فسمع منه الجوابَ الذي جعله يحكمُ عليه بالأمانة والعلم ، فقال له : إنك غلامٌ معلَّم .

ولسوف يكتشفُ رسولُ الله ﷺ في ابنِ مسعودٍ ﷺ أماراتِ الذكاء والفطانة والألمعيّة ما يزيدُه إعجاباً وانبهاراً.

ولسوف يدرك رسولُ الله ﷺ أن هذا الفتى الراعي الفقيرَ المغمورَ سوف يصبحُ في ظلِّ الإسلام ، وبرعاية رسولُ الله ﷺ ، وتربيته الحكيمة ، وتعليمه المتقنِ ، إحدى معجزاتِ الإسلام .

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

يتحدّى قريشاً بالقرآن :

(ولسوف يفاجئُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه النبيَّ ﷺ بأوّل معجزة أكرمه الله بها ، يوم يتحدّى بإيمانه كبرياءَ قريش ، ويقهرُ بصلابته جبروتَهم .

لقد ذهب ابنُ مسعود بعد أن أعلنَ إسلامَه إلى البيت حيثُ أشرافُ مكةَ وزعماؤها مجتمعون ، فيقفُ على رؤوسهم ، ويرفع صوتَه الحلوَ الغضَّ الليّنَ الذي أكرمه الله تعالى به ، فيقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الرحمن * علّم القرآن * خلق الإنسان * علّمهُ البيان * الشمسُ والقمرُ بحسبان * والنجم والشجرُ

يسجدان ﴾[1] .

ثـم يواصـلُ قراءتَـه ، وزعمـاءُ قريـشٍ مشـدوهون ، لا يصدقون أعينَهم التي ترى ، ولا آذانَهم التي تسمع .

ولا يتصـوَّرون أن هـذا الـذي يتحـدّى بأسَـهم وكبرياءَهم إنما هو أجيرُ واحدٍ منهم ، وراعي غنمٍ لشريفٍ من أشرافهم)[2] .

يقول القاسمُ بنُ عبد الرحمن : كـان أول مـن أفشـى القرآنَ بمكة من في رسول الله ﷺ عبدُ الله بن مسعود .

ويقول الزبير بـن العـوام ﷺ : كـان أول مـن جهـر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبدُ الله بن مسعود ﷺ، إذِ اجتمـع يومـاً أصحـابُ رسـول الله ﷺ فقـالوا : والله مـا سـمعتْ قريشٌ هـذا القرآن يُجهَرُ لها قـط ، فمَنْ رجلٌ .

---

[1] الآيات من أول سورة الرحمن .

[2] رجال حول الرسول .

يُسمعهموه ؟

فقال عبدُ الله بن مسعود : أنا .

قالوا : إنّا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرةٌ يمنعونه[1] من القوم إن أرادوه .

فقال : دعوني ، فإن الله سيمنعُني .

فغدا ابنُ مسعود حتى أتى المقام[2] في الضحى ، وقريشٌ في أنديتها ، فقام عند المقام فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم - رافعاً بها صوته - ﴿ **الرحمن * علّم القرآن** .. ﴾ ثم استقبلهم يقرؤها .

فتأمّلوه قائلين : ماذا يقولُ ابنُ أمِّ عبد ...؟ إنه ليتلو بعضَ ما جاء به محمدٌ ..!!

فقاموا إليه وجعلوا يضربون وجهَه ، وهو ماضٍ في

---

(1) يمنعونه : يحمونه .

(2) المقام : هو مقام إبراهيم عليه السلام .

قراءته حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغَ .

ثم عاد إلى أصحابه مصاباً في وجهه وجسده ، فقالوا له : هذا الذي خشيناه عليك .

فقال : ما كان أعداءُ الله أهونَ عليَّ منهمُ الآن ، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها غداً[1].

فقالوا له : حسبُك[2] ، فقد أسمعتَهم ما يكرهون .

---

[1] أي لأفعلنّ بهم غداً كما فعلتُ اليومَ .

[2] حسبك : كافيك .

ثناء رسول الله ﷺ على قراءته :

وتمرُّ الأيام بعبد الله بن مسعود فيزدادُ تقرُّباً من رسول الله ﷺ ، وملازمةً له حتى أصبح علَماً من أعلام الصحابة وفقيهاً من فقهائهم ، حتى لقد قال هو : (أخذتُ من فم رسول الله ﷺ سبعينَ سورةً لا ينازعُني فيها أحدٌ) .

وحينئذ أدرك النبيُّ ﷺ أن تلميذَه المجتهدَ قد مُلِئَ علماً حتى غدا واحداً من أعلم الصحابة .

فكان النبيُّ ﷺ يوصي أصحابَه أن يقتدوا بابنِ مسعود ويتعلَّموا منه ، فيقول : « تمسكوا بعهد ابنِ أمِّ عبد » .

ويقول : « من أحبَّ أن يسمع القرآنَ غضّاً كما أُنزل فلْيسمعْهُ من ابنِ أمِّ عبد » .

ويقول : « من أحبَّ أن يقرأ القرآنَ غضّاً كما أُنزل، فلْيقرأه على قراءة ابنِ أمِّ عبد » .

ولقد طلب منه النبيُّ ﷺ يوماً أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن ، فقال له : « اقرأْ عليَّ يا عبدَ الله » .

فقال ابنُ مسعود : أقرأُ عليك ، وعليك أُنزلَ يا رسولَ الله ..؟!!

فقال له رسول الله ﷺ : « إني أحبُّ أن أسمعَه من غيري » .

فأخذ ابنُ مسعود ﷺ يتلو من سورة النساء حتى بلغ قولَه تعالى : ﴿ **فكيفَ إذا جئنا من كلِّ أمّةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً * يومئذٍ يودُّ الذين كفروا وعصَوُا الرَّسولَ لو تُسَوَّى بهمُ الأرضُ ولا يكتمونَ الله حديثاً** ﴾[1] .

[1] الآيتان ٤١ ـ ٤٢ من سورة النساء .

« فبكـى النـبي ﷺ ، وفـاضتْ عينـاه بـالدموع ، وجعل يشيرُ بيده إلى ابن مسعود : أن حسـبُك ، حسبُك يا ابنَ مسعود » .

وعـن علقمـةَ قـال : (جـاء رجـلٌ إلى عمـرَ ، وهـو بعرفة ، فقال : جئتُ يا أمير المؤمنين من الكوفة ، وتركتُ بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلبه .

فغضب عمرُ ، وانتفخ حتى كاد يملأُ مـا بـين شـعبتي الرحل ...

فقال : مَن هو ويحك ؟

قال : عبدُ الله بن مسعود .

فما زال يُطفأُ ويزولُ عنه الغضب حتى عاد إلى حالِه التي كان عليها ، ثم قال : ويحك ، والله ما أعلمُ بقي مـن النـاس أحـدٌ أحـقُّ بذلـك منـه وسـأحدّثك عـن ذلـك ... ويتابع عمرُ ﷺ قائلاً :

كان رسولُ ا لله ﷺ لا يزال يسمرُ[1] عند أبـي بكـرٍ الليلةَ كذلك في أمرٍ من أمور المسـلمين ، وإنـه سمـر عنـده ذاتَ ليلةٍ، وأنا معه، فخرج رسولُ ا لله ﷺ وخرجنا معـه، فإذا رجلٌ قائمٌ يصلـي في المسـجد ، فقـام رسـولُ ا لله ﷺ يستمع قراءته ، فلمّا كِدْنا نعرفُه قال ﷺ :

« من سرَّه أن يقرأ القـرآن رطبـاً كمـا أُنـزل فلْيقـرأه على قراءة ابنِ أمِّ عبدٍ » .

قال عمرُ رضي الله عنه :

ثم جلس الرجلُ يدعو، فجعل رسولُ ا لله ﷺ يقـول له : « سَلْ تُعْطَهْ .. سل تعطه » .

ويتابع عمر رضي الله عنه قائلاً :

قلتُ : وا لله لأغدوَنَّ عليه فلأُبشِّرَنّه .

قال : فغدوتُ عليه فبشّرتُـه ، فوجدتُ أبا بكرٍ قـد

---

(1) السمر : السهر بالليل .

سبقني إليه فبشّره .. ولا والله ما سابقتُه إلى خيرٍ قطُّ إلاّ سبقني إليه) .

ولقد تحدّث ابنُ مسعود ﷺ عن النعمة العظمى التي أنعم الله تعالى بها عليه ، فقال :

(والذي لا إله غيرُه ، ما نزلتْ آيةٌ من كتاب الله إلاّ وأنا أعلمُ فيمن نزلت وأين نزلت ...

ولو أعلمُ مكانَ أحدٍ أعلمَ بكتاب الله مني تنالُه المطايا لأتيتُه) .

لم يقلِ ابنُ مسعودٍ هذا الكلامَ تعالياً ، ولا كِبْراً ، ولا غروراً ، بل قاله متحدِّثاً عن نعمة الله تعالى ، ولذلك قال بعد قوله : ولو أعلمُ مكانَ أحدٍ أعلمَ بكتاب الله مني تنالُه المطايا .. قال : **لأتيتُه** .. أي لآخذ عنه العلم .

ثم قال : وما أنا بخيركم .

وقال في قوله تعالى : ﴿ **الذين استجابوا لله**

والرسول ﴾[1] ..

قال : كنّا ثمانية عشر رجلاً .

---

(1) الآية ۱۷۲ من سورة آل عمران .

شهادةُ رسول الله ﷺ له بالجنة :

روى ابنُ عبد البرّ في الاستيعاب أنّ ابنَ مسعود هاجر الهجرتين جميعاً : الأولى إلى أرض الحبشة ، والهجرة الثانية من مكة إلى المدينة ، وصلّى القبلتين ، وشهد له رسولُ الله ﷺ بالجنة ، فيما ذكر في حديث العشرة بإسناد حسنٍ جيّد .

ثم ساق الحديث بسنده حتى انتهى إلى سعيد بن زيد ﷺ قال :

« كنا مع رسول الله ﷺ على حراء ، فذكر عشرةً في الجنة ، وهم :

أبو بكر ، وعمرُ ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن مالك ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن مسعود » وقوله : (سعد

ابن مالك) هو سعد ابن أبي وقّاص ﷺ .

والمعروف أن ابنَ مسعود غيرُ مذكورٍ ضمنَ العشرة المبشرين بالجنة ، في غير هذا الحديث ، والمذكور بدلاً منه أبو عبيدة عامرُ بنُ الجرّاح ﷺ .

وسواءٌ ذُكِرَ ابنُ مسعودٍ مع العشرة أم لم يُذكَر فإنه مبشَّرٌ بالجنة ، كما أنّ جميع أصحاب رسول الله ﷺ مبشّرون في الحقيقة ، خاصّةً وأن ابنَ مسعود ﷺ شهدَ بدراً ، وقد روي أنّ جميعَ أهل بدر اطّلع الله عزّ وجلَّ عليهم ، وقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم .

ومنِ اطّلع اللهُ عزّ وجل عليه وغفر له لا شكّ أنه مشهودٌ له بالجنة .

وعن عليٍّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كنت مؤمِّراً أحداً ـ وفي رواية : لو كنت مستخلفاً

أحداً ـ من غير مَشُورةٍ لاستخلفتُ ابنَ أمِّ عبدٍ »[1] .

وقال ﷺ : « رضيتُ لأمَّتي ما رضي الله لها وابنُ أمِّ عبدٍ ، وسخطتُ لأمتي ما سخط الله لها وابنُ أمِّ عبدٍ »[2] .

وقال ﷺ : « اهدوا هديَ عمار ، وتمسّكوا بعهد ابن أمِّ عبد » .

وقال يمدح عبد الله بنَ مسعود : « لَرِجلُ عبدِ الله يوم القيامة في الميزان أثقلُ من جبل أُحد » .

---

(1) و (2) الاستيعاب .

مكانته في العلم :

لقد انتهى علمُ الصحابة إلى عشرة ، ، وعبد الله بن مسعود واحدٌ منهم .

يقول السيوطي في الإتقان :

(والذين اشتهروا بتفسير القرآن من الصحابة عشرة:

وهم الخلفاء الراشدون ، وعبدُ الله بن مسعود ، وعبدُ الله بن عباس ، وأبيٌّ بنُ كعب ، وزيدُ بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبدُ الله بن الزبير) .

وعن مسروقٍ قال :

(شاممتُ[1] أصحابَ محمد ﷺ ، فوجدتُ علمَهمُ انتهى إلى ستّة نفرٍ منهم :

عمرُ ، وعليٌّ ، وعبدُ الله ، وأبيٌّ بن كعب ،

---

[1] أي اختبرتُهم ، ونظرتُ ما عندهم من العلم .

وأبو الدرداء ، وزيد بن ثابت .

ثم شاممتُ هؤلاء الستة ، فوجدتُ علمَهمُ انتهى إلى رجلين : عليٍّ بن أبي طالب ، وعبدِ الله بن مسعود) .

وعن مسروقٍ أيضاً قال :

(جالستُ أصحابَ محمدٍ ﷺ ، فوجدتُهم كالإخاذ[1] يُروي الرجلَ ، والإخاذِ يروي الرجلين ، والإخاذ يروي المئة، والإخاذ لو نزل به أهلُ الأرض لأصدَرَهم[2] ، فوجدتُ عبدَ الله بن مسعود من هذا الإخاذ) .

وقال أبو موسى الأشعريُّ ﷺ وهو يتحدّث عن ابن مسعود : (لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبرُ فيكم) .

---

(1) الإخاذ : ما يُتّخذُ من الجلد ليجتمعَ فيه الماءُ كالغدير .

(2) أي صرفهم وقد ارتووا .

وعن أبي الأحوص قال : (شهدتُ أبا موسى وابنَ مسعود حين مات ابنُ مسعود ، وأحدهما يقول لصاحبه : أ تُراه ترك مثلَه ؟

قال : إن[1] قلتُ ذاك ، إن كان ليؤذَنُ له إذا حُجِبنا، ويشهدُ إذا غبنا .

سُئلَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ عن أصحاب النبيِّ ﷺ، فقال : عن أيِّهم تسألون ؟

قالوا : أخبرنا عن ابن مسعود .

فقال : عُلِّمَ القرآنَ والسنّةَ ثم انتهى ، وكفى به علماً .

ولقد اجتمع نفرٌ من الصحابة يوماً عند عليّ بن أبي طالب ﷺ فقالوا له : يا أميرَ المؤمنين ، ما رأينا رجلاً

---

[1] إن : بمعنى قد ، أي : قد قلتُ ذاك ، كقوله تعالى : ﴿ **فذكّر إنْ نفعتِ الذّكرى** ﴾ .

كان أحسنَ خُلُقاً ، ولا أرفقَ تعليماً ، ولا أحسنَ مجالسةً، ولا أشدَّ ورعاً من عبد الله بن مسعود .

فقال عليٌّ ﷺ : نشدتُكمُ اللهَ ، أهو صدقٌ من قلوبكم ؟

قالوا : نعم .

قال : اللهم ، إني أشهدك ، اللهم إني أقول فيه مثلَ ما قالوا أو أفضل ، لقد قرأ القرآنَ فأحلَّ حلالَه وحرَّم حرامَه ، فقيهٌ في الدين ، عالِمٌ بالسّنّة .

ولقد صدقتْ فيه نبوءةُ رسول الله ﷺ يومَ قال له : « إنك غلامٌ معلَّم » .

فلقد فتح الله عز وجل عليه وعلّمه حتى صار واحداً من العلماء المعدودين والقرّاء المشهورين الذين تربَّوا في أحضان النبيِّ ﷺ يتفجّرُ العلمُ من جوانبهم ، وتنطق الحكمة على ألسنتهم ، أبرّ الناس قلوباً ، وأغزرهم علماً ،

وأقلّهم تكلُّفاً ، وأصدقهم لهجةً ، وأشدُّهم تورُّعاً ، وأكثرهم زهداً ، وأبلغهم تواضعاً .

فعن زيد بن وهبٍ قال : أقبل عبدُ الله بن مسعودٍ ذاتَ يومٍ ، وعمرُ جالسٌ ، فلمّا رآه مقبلاً قال : كنيفٌ مُلئَ علماً .

وفي رواية : لقد ملئ فقهاً .

وعن الشعبيّ قال : ذكروا أنّ عمرَ بنَ الخطاب ﷺ لقيَ ركباً في سفر له فيهم عبد الله بن مسعود ، فأمرَ عمرُ رجلاً يناديهم : من أين القوم ؟

فأجابه عبدُ الله بن مسعود : أقبلنا من الفجّ العميق .

فقال عمرُ : أين تريدون ؟

فقال عبد الله : البيتَ العتيقَ .

فقال عمرُ : إنّ فيهم لَعالماً .

فأراد عمرُ أن يتعرّف على ذلك العالم ، فأمرَ رجلاً

أن يقولَ لهم : أيُّ القرآن أعظمُ ؟

فأجابه ابنُ مسعود : ﴿ الله لا إله إلاّ هو الحيُّ القيوم .. ﴾[1] حتى ختم الآية .

فقال عمرُ : نادِهم أيُّ القرآن أحكمُ ؟

فقال ابن مسعود : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان .. ﴾[2] .

قال عمرُ : نادِهم أيُّ القرآن أجمع ؟

فقال ابن مسعود : ﴿ فمَن يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَهْ * ومن يعملْ مثقالَ ذرّةٍ شرّاً يرَهْ ﴾[3] .

قال عمر : نادِهم أيُّ القرآن أخوفُ ؟

فقال ابنُ مسعود : ﴿ ليس بأمانيِّكم ولا أمانيِّ أهلِ

---

[1] الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

[2] الآية ٩٠ من سورة النحل .

[3] الآيتان ٧ ـ ٨ من سورة الزلزلة .

الكتاب مَنْ يعملْ سُوءاً يُجْزَ به .. ﴾[1] .

فقال عمرُ : نادِهم أيُّ القرآنِ أرجى ؟

فقال ابنُ مسعود : **﴿ قل يا عبـاديَ الذين أسـرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمةِ الله إن الله يغفرُ الذنوبَ جميعاً .. ﴾**[2] .

فقال عمرُ : نادِهم أيُّ القرآن أحزن ؟

فقال ابن مسعود : **﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبْكم به الله .. ﴾**[3].

فقال عمرُ : نادهم أفيكُمُ ابنُ مسعود ؟

قالوا : نعم .

وبالتأمُّل في هذه الروايات المختلفة نلمسُ غزارةَ علمِ

---

(1) الآية ١٢٣ من سورة النساء .

(2) الآية ٥٣ من سورة الزمر .

(3) الآية ٢٨٤ من سورة البقرة .

هذا الصحابيّ الجليل ، وقوةَ حافظته وحُجّته ، وسرعةَ بديهته ، وهو الذي تفرّس فيه النبيُّ ﷺ النبوغَ والذكاءَ والفطانةَ ، وبشّره بالتقدُّم في العلم ، والرسوخِ في الحفظ والفقه والتفسير والحديث ، حتى صار فقيه الأمة ، وعميدَ حفَظةِ القرآن والسنة جميعاً .

تعظيمُهُ لحديث رسول الله ﷺ :

على الرغم من تقدُّمِ ابن مسعود في العلم ، وبلوغِه درجةً عاليةً من الحفظ والضبط ، فقد كانت روايتُه عن رسول الله ﷺ قليلةً بالنسبة لمكانتِه معه وملازمتِهِ إيّاه .

فلقد عاش معه سنين كثيرةً ، ولازمه أكثرَ من غيره ، فما سرُّ قلّةِ الرواية عنه ؟؟

لقد كان ابن مسعود يُجِلُّ النبيَّ ﷺ إجلالاً عظيماً ، ويتأدّبُ معه تأدُّباً بالغاً وذلك في حياته وبعد وفاته ، ولقد ازدادَ هذا التعظيمُ والأدبُ والاحترامُ، ونما مع الأيام، ثم تحوّل إلى خشوعٍ وتقديسٍ وإجلال .

فكان إذا تحدّث عن النبيّ ﷺ ، أو روى عنه أخذَتْهُ الرعدةُ ، وبدا عليه الخوفُ والاضطراب خوفاً من أن ينسى فيبدلَ حرفاً مكانَ حرف ، أو كلمةً بدلَ أخرى .

يقول مسروقٌ :

حدَّث ابنُ مسعود يوماً حديثاً فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ ... ثم أُرعِدَ ، وأرعِدَتْ ثيابُه ، ثم قال : أو نحوَ ذا ، أو شبهَ ذا .

ويقول عمرو بنُ ميمون :

اختلفتُ إلى عبد الله بن مسعود سنةً ، ما سمعتُه يحدثُ فيها عن رسول الله ﷺ ، إلاّ أنه حدَّث ذات يومٍ بحديثٍ فجرى على لسانه : قال رسولُ الله ﷺ ، فعلاهُ الكربُ حتى رأيتُ العرقَ يتحدّر عن جبهته .

ثم قال مستدركاً: قريباً من هذا قال رسولُ الله ﷺ .

ويقول علقمةُ بن قيس :

كان عبدُ الله بن مسعود يقومُ عشيّةَ كلِّ خميس متحدِّثاً، فما سمعتُه في عشيّةٍ منها يقول : قال رسولُ الله ﷺ ، غيرَ مرةٍ واحدة .

فنظرتُ إليه وهو معتمدٌ على عصا ، فإذا عصاهُ ترتجفُ وتتزعزع .

وقال عبدُ الله بنُ مرداس :

كان عبدُ الله بن مسعودٍ يخطبنا كلَّ خميسٍ ، فيتكلَّمُ بكلماتٍ فيسكتُ حين يسكتُ، ونحن نشتهي أن يزيدَنا .

ولعلَّ الروايةَ التاليةَ توضحُ لنا سببَ قلّةِ روايته عن رسول الله ﷺ .

روى مسلمٌ في صحيحه عن ابن مسعود ﷺ قال :

سألتُ رسولَ الله ﷺ : أيُّ العمل أفضلُ ؟

قال : الصلاةُ لوقتها .

قلتُ : ثم أيّ ؟

قال : برُّ الوالدين .

قلتُ : ثمّ أيّ ؟

قال : الجهادُ في سبيل الله .

فما تركتُ أستزيدُه إلاّ إرعاءً عليه .

أي : فما تركتُ الاستزادةَ منه إلاّ إشفاقاً عليه أو رفقاً به ، فكأنه ﷺ خشي عليه التعبَ ، فحرص على راحته فسكت عنه .

ولقد قال مبيِّناً ذلك : ولو استزدتُه لزادني ، رضي الله عنه وأرضاه .

جهادُه :

شهد ابنُ مسعود ﷺ المشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ .

وإن له يوم بدرٍ لموقفاً عظيماً ومشهوداً لا يكادُ ينساه ، بل لا يكاد ينساه مسلمٌ إلى يوم القيامة ، ذلك أنه أجهز على عدوِّ الله أبي جهلٍ فرعونٌ هذه الأمة ، وقضى عليه ، وأراح المسلمين من شرِّه وفسادِه ..

واسمحوا لي أن أعودَ بكم إلى مسرح غزوةِ بدرٍ لنشهدَ معاً مقتل هذا الطاغية .

فهذا معاذ بنُ عمرو بن الجموح يقاتلُ وسط المعركة ، ويتصدّى لعدوِّ الله أبي جهل ، ويضربُه ضربةً بالسيف قطعتْ نصفَ ساقه ، ثم يمرُّ به معاذُ بنُ عفراء ، فيضربُه ضربةً أثبتَتْه .

وبعد انتهاء المعركة أمرَ النبيُّ ﷺ أن يُلتَمسَ أبو جهل في القتلى .

فانطلق عبدُ الله بنُ مسعود ﷺ يبحثُ عنه ، فوجده بآخر رمَقٍ ، فوضع رجليه على عنقه وقال له : هل أخزاكَ اللهُ يا عدوَّ الله ؟

قال : وبماذا أخزاني ، أعارٌ على رجلٍ قتلتموه ؟ أخبرني لمنِ الدائرةُ اليومَ ؟

قال ابنُ مسعود : لله ورسوله .

فقال أبو جهل لابن مسعود ، وكان قد وضع رجلَهُ على عنقه : لقدِ ارتقيتَ مُرتقىً صعباً يا رويعيَ الغنمِ .

ثم احتزَّ ابنُ مسعود رأسَه ، ومضى به إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسولَ الله ، هذا رأسُ عدوِّ الله أبي جهل .

فقال ﷺ : « الله الذي لا إله إلاّ هو، فردَّدَها ثلاثاً،

ثم قال : الله أكبرُ ، الحمدُ لله الذي صدق وعدَه ، ونصرَ عبدَه ، وهزمَ الأحزابَ وحدَه ، انطلقْ أرِنيه ، فلمّا رآه النبيُّ ﷺ قال : هذا فرعونُ هذه الأمة ، ثم أمرَ أن يُجرَّ إلى القليب .

يقول ابن مسعود : وقد كنتُ ضربتُه بسيفي فلم يعملْ فيه ، فأخذتُ سيفَه ، فضربتُه به حتى قتلتُه ، فنفلني[1] رسولُ الله ﷺ سيفَه .

[1] أي أعطاني سيفَ أبي جهل نفلاً ، أي غنيمةً .

موقفه من جمع القرآن وإحراق المصاحف :

لا أقصد بقولي (جمع القـرآن) بيـان كيفيـة جمعـه ، أو طريقـةَ جمعـه ، بـل أقصـد ذكـرَ موقـف عبـد الله بـن مسعود ﷺ من جمع القرآن في عهد عثمـانَ ﷺ وإحراقِـه المصاحفَ ، فأقول :

لقد انتشر الإسلام في جميع بقاع الأرض ، وعمَّ نورُه المشـرقَ والمغـربَ ، وسـكنَ المسـلمون الأمصـار ، فكـان أحدُهم إذا سمع قراءةَ غيرِه خطَّأه ، وقال له : قراءتي خيرٌ من قراءتِك .. فعلم بعضُ المصلحين مـن المسـلمين بذلـك فـانطلق بدافـع الغـيرة علـى كتـاب الله ، وذهـب إلى عثمـانَ ﷺ فأخـبره بمـا سمـع ورأى ، فـأمر عثمـانُ بكتابة القرآن .

روى البخاري عن أنسٍ أن حذيفـةَ بنَ اليمـان قدم

علـى عثمـان وكـان يغـازي أهـلَ الشـام في فتـحِ أرمينيـــة وأَذربيجان مع أهل العراق ، فـأفزعَ حذيفـةَ اختلافُهـم في القراءة .

فقال لعثمانَ : أدرِكْ الأمّةَ قبـل أن يختلفـوا اختـلافَ اليهودِ والنصارى ، فأرســل إلى حفصـة : أن أرسـلي إلينـا الصحفَ ننسخها في المصاحف ثم نردُّها إليك .

فأرسلت بها حفصةُ إلى عثمانَ ، فأمر زيدَ بنَ ثابتٍ ، وعبدَ الله بن الزبير ، وسعيد بنَ العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف .

وقال عثمان لـلرهط القرشيين الثلاثـة : إذا اختلفتـم أنتم وزيدُ بنُ ثابتٍ في شيءٍ من القـرآن ، فـاكتبوه بلســان قريشٍ فإنه نزل بلسانهم .. ففعلوا .

حتى إذا نســخوا الصحـفَ في المصـاحف ردَّ عثمـانُ الصحـفَ إلى حفصـةَ ، وأرسـلَ إلى كـلِّ أُفــقٍ بـمصحفٍ

مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفةٍ أو مصحفٍ أن يُحرَقَ .

قال زيدٌ : (ففقدتُ آيةً من الأحزاب حين نسخنا المصحفَ قد كنتُ أسمعُ رسولَ الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمةَ بنِ ثابتٍ الأنصاري ... **﴿ مِنَ المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. ﴾**[1] فألحقناها في سورتها في المصحف)[2].

قال ابن حجر : وكان ذلك في سنةِ خمسٍ وعشرين .[3]

وعن أنس بن مالك ﷺ قال :

(اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل

---

[1] الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

[2] الإتقان للسيوطي .

[3] الإتقان .

الغلمانُ والمعلمون ، فبلغ ذلك عثمانَ بنَ عفـان ، فقـال : عندي تكذِّبون به ، وتلحنـون فيـه ..؟!! فمـن نـأى عـني كان أشدَّ تكذيباً ، وأكثرَ لحناً ..

يا أصحابَ محمد ، اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً .

فاجتَمعوا فكَتَبوا فكانوا إذا اختلفوا وتـدارؤوا في أيٍّ آيةٍ ، قالوا : هذه أقرأها رسولُ الله ﷺ فلاناً ، فيُرسَلُ إليه وهو على رأس ثلاثٍ من المدينة ، فيقال له :

كيف أقرأك رسولُ الله ﷺ آيةَ كذا وكذا ؟

فيقول : كذا وكذا .

فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكاناً)[1].

إذن مـن أجـلِ قطـعِ الاختـلاف ، ونَبْـذِ التفريـق في كتاب الله تعـالى أمَرَ الخليفـةُ عثمـانُ ﷺ بكتابـة القـرآن الذي كان مجموعاً في الصحف وجَمْعِهِ في مصحفٍ واحد،

---

(1) الإتقان .

ثـم أمـرَ بردِّهـا إلى أمِّ المؤمنـين حفصـةَ رضـي ا لله عنهـا ، وأمر بإحراق ما بقي مـن الصحـف المختلَـفِ فيهـا سـوى صحف حفصةَ لأنها الصحفُ الأمُّ .

وكان عبدُ ا لله بنُ مسعود ﷺ يرى خلافَ ما يـرى عثمانُ ومَن وافقه في الاقتصار على لغة واحدة .

ولربما كان يريدُ أن تكونَ قراءتُه هي الباقيـة والمعـوَّل عليها، ولذلك جعل يحثُّ الناسَ على التمسُّك بمصاحفهم، وعدمِ تسليمها لئلاّ تُحرَق .

روى الـترمذيُّ والنَّسـائي والحـاكمُ وغـيرُهم أن عبدَ ا لله ابنَ مسعودٍ ﷺ قال :

(يـا أهـلَ الكوفـة ـ أو يـا أهـلَ العـراق ـ اكتمـوا المصاحفَ التي عندكـم وغُلُّوهـا ، فـإن ا لله تعـالى يقـولُ : ﴿ **ومَنْ يَغْلُلْ يأتِ بما غلَّ يومَ القيامـة ..** ﴾[1] فالقُوُا ا لله

---

[1] الآية ١٦١ من سورة آل عمران .

بالمصاحف) .

فهو يريدُ من غَلِّ المصاحفِ إخفاءَها لئلاّ تُخرَجَ فتُحرَقَ .

وأمّا قولُ من قال بأن عثمان أدّب ابنَ مسعود وضربه وكسر له ضلعين ، وأنه مات لهذا السبب ، فإنه ليس بشيءٍ ، بل هو كذبٌ واختلاقٌ لا أصلَ له .

وكذلك كذبَ مَن قال عن ابن مسعود أنه قال لـمّا أُحرِقَ مصحفُه : (لو ملكتُ كما ملكوا لصنعتُ بمصحفهم كما صنعوا بمصحفي) .. فإنه أيضاً كذِبٌ وزُورٌ وبهتان .

ثم إن هذا الموقفَ من ابن مسعود كان في أوّل الأمر ، ثم رجع عنه إلى رأي الجماعة .

حتى إن أهلَ الكوفةِ اجتمعوا حولَه حين أراد الخليفةُ عثمانُ ﷺ أن يعزلَه عن الكوفة ، وقالوا له : أَقِمْ معنا

ولا تخرج ، ونحن نمنعُك أن يصلَ إليك شيءٌ تكرهه منه .

فأجابهمُ ابنُ مسعود بكلماتٍ تصوّرُ عظمةَ نفسه وتُقاها ، فقال لهم : إنه له عليَّ الطاعةَ ، وإنها ستكون أمورٌ وفتنٌ ، ولا أحبُّ أن أكونَ أولَ من يفتحُ أبوابَها .

ولقد حدث بينه وبين الخليفة عثمانَ ﷺ حوارٌ وخلافٌ تفاقما حتى حُجِبَ عن عبد الله راتبُه ومعاشُه من بيت المال ، ومع ذلك لم يقلْ في عثمان كلمةَ سوء واحدة .

بل وقف موقفَ المدافعِ والمحذِّر حين رأى التذمُّرَ في عهد عثمان يتحوّلُ إلى ثورة .

وحين ترامى إلى سمعه محاولاتُ اغتيال الخليفة عثمانَ ، قال كلمتَه المأثورة :

(لئن قتلوه لا يستخلفون بعدَه مثلَه) .

ويقول بعضُ أصحاب ابن مسعود :

(مـا سمعـتُ ابـنَ مســعودٍ يقـولُ في عثمــانَ سُـبَّةً قطٌّ)[1].

---

[1] رجال حول الرسول .

دفاع عليٍّ عن عثمان رضي الله عنهما :

حين أحرق عثمانُ المصاحفَ أرسلَ نسخاً من المصحف الجديد إلى الأمصار فأخذ بعضُ الناس يتكلمون، فقام عليٌّ بن أبي طالب ﷺ يدافع عنه .

أخرج ابنُ أبي داود بسندٍ صحيح عن سويد بن غفلة ، قال : (قال عليٌّ : أيها الناسُ ، لا تقولوا في عثمانَ إلاّ خيراً، فوا لله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلاّ عن ملأٍ منا .

وقال : لو كنت مكانَ عثمان لفعلتُ الذي فعل .

قال : ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن بعضَهم يقولُ : إن قراءتي خيرٌ من قراءتك ، وهذا يكادُ يكونُ كفراً .

قلنا : فما ترى ؟

قال : أرى أن يُجمَعَ الناسُ على مصحفٍ واحدٍ ، فلا تكونُ فُرقةٌ ولا اختلافٌ .

قلنا : فنِعْمَ ما رأيتَ)[1].

والمعنى أن علياً يَروي لنا أن عثمانَ لم يُقدِمْ على جمع القرآن إلاّ بعدَ أن استشار أصحابَ رسول الله ﷺ ، وأخذَ آراءهم فوافقوا معه على ذلك .

---

[1] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي .

الفرق بين جمع أبي بكر ﷺ وجمع عثمان ﷺ للقرآن :

لقد جمع أبو بكرٍ ﷺ القرآنَ خشيةَ أن يذهبَ منه شيءٌ بذهاب حَمَلَتِه ، لأنه لم يكن مجموعاً في مصحفٍ واحد ، بل مكتوباً في قطع الأديم والعسب واللخاف ، ثم جُمِعَ في عهد أبي بكرٍ ﷺ في الصحف على ما وقفهم عليه النبيُّ ﷺ .

عن سالم بن عبد الله بن عمرَ ﷺ قال :

(جمع أبو بكر القرآنَ في قراطيسَ ، وكان سأل زيدَ بنَ ثابت في ذلك فأبى ، حتى استعان عليه بعمرَ ، ففعل)[1].

ذلك أن أبا بكرٍ الصديق ﷺ بلغه أن حفظَة القرآن

---

[1] الإتقان .

أُصيبوا في حروب اليمامة ، فخشيَ أن يضيعَ القرآنُ باستشهاد الحفظَة ، فأمرَ بجمعهِ .

فعنِ ابن شهاب قال :

(لما أُصيبَ المسلمون باليمامة فزع أبو بكر ﷺ ، وخاف أن يذهبَ من القرآن طائفةٌ ، فأقبل الناسُ بما كان معهم وعندهم ، حتى جُمِعَ على عهد أبي بكر في الورق. فكان أبو بكر ﷺ أول من جمع القرآن في المصحف)[1].

وقِطَعُ الأديم : هي قطعُ الجلود ، كانت تُتَّخَذُ للكتابة .

والعسبُ : جمع عسيبٍ : وهو جريدُ النخل ، كانوا يكتبون في الطرفِ العريضِ منه .

واللِّخاف : بكسر اللام ، جمع لَخْفَةٍ بفتح اللام وسكون الخاء ، وهي الحجارةُ الدقاقُ ، أو صفائحُ

---

[1] الإتقان .

الحجارة ، كما قال الخطابي .[1]

وأما جمعُ عثمانَ ﷺ ، فقد كان لما كَثُرَ الاختلافُ في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات ، فأدّى ذلك ببعضهم إلى تخطئةِ بعضٍ ، فخشيَ من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحفَ في مصحفٍ واحدٍ مرتباً لسُوَرِه ، واقتصر من سائر اللغات على لغةِ قريش محتجّاً بأنه نزل بلغتهم .[2]

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار :

(لم يقصد عثمانُ قصدَ أبي بكرٍ في جمع نفسِ القرآن بين لوحين ، وإنما قصَد جمعَهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبيِّ ﷺ ، وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذِهم بمصحفٍ واحدٍ لا تقديمَ فيه ولا تأخير ولا تأويل)[3] .

وقال الحارث المحاسبي :

---

(١) و (٢) و (٣) الإتقان .

(المشهورُ عند الناس أن جامعَ القرآن عثمانُ وليس كذلك ، إنما حمَلَ عثمانُ الناسَ على القراءة بوجهٍ واحدٍ على اختيارٍ وقع بينه وبين من شهدَه من المهاجرين والأنصار لـمّا خشيَ الفتنةَ عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات ، فأما قبل ذلك فقد كانتِ المصاحفُ بوجوهٍ من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أُنزلَ بها القرآنُ .

فأمّا السابقُ إلى جمع الحملة فهو الصديقُ ﷺ .

وقد قال عليٌّ ﷺ : لو وُلِّيتُ لعملتُ بالمصاحف التي عملَ بها عثمانُ)[1].

فرضي الله عنهم جميعاً ، وقبِلَ عملَهم ، وشكرَ سعيَهم لِمَا قدَّموه لهذه الأمة من خدَماتٍ جليلةٍ لحفظ كتاب الله تعالى ، وسهولةِ قراءته ، وسرعة فهمه ،

---

[1] الإتقان .

وحرصهم على تجنيب الأمة النزاعَ والاختلافَ اللذين من شأنهما أن يؤدّيا إلى التفرقة والكفر والعياذُ بالله تعالى ، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم:

﴿ إنّا نحنُ نزّلْنا الذكرَ وإنّا لهُ لحافظونَ ﴾[1] .

فقيَّضَ الله تعالى لهذا الأمر هؤلاء الرجال الأعلامَ فكانوا سبباً لحفظِ كتابه من الضياع والتبديل والتحريف .

---

(1) الآية ٩ من سورة الحجر .

فضائله :

صعِدَ ابنُ مسعود ﷺ يوماً شجرةً ليقطع منها أراكاً[1] لرسول الله ﷺ ، فكشفتِ الريحُ عن ساقه ، فرأى بعضُ الصحابة دِقّتَها ، فضحكوا ..

فقال لهم النبيُّ ﷺ : « تضحكون من ساقَي ابنِ مسعود ! لهما أثقلُ عند الله من جبل أُحُد » .

ولقد عرف جميعُ أصحاب رسول الله ﷺ لابنِ مسعود قدرَه ومكانتَه ، واعترفوا بفضله وتقدُّمه بشهادة رسول الله ﷺ له .

فهذا عمرُ ﷺ يولّيه على بيت مال المسلمين في الكوفة، ويقول لأهلها وهو يبيّن لهم مكانتَه :

(إني والله الذي لا إله إلاّ هو ، قد آثرتُكم به على

---

[1] الأراك : السواك المعروف .

نفسي فخذوا منه وتعلّموا) .

ولقد أحبّه أهلُ الكوفة حبّاً جمّـاً لِمَـا رأوا مـن زهـده وورعه ، وحين يحبُّ أهـلُ الكوفـة رجـلاً فهـذا معنـاه أنـه حظيَ بحظٍّ وافرٍ من السعادة والتوفيق .

يقول عبدُ الرحمن بنُ يزيدَ :

(ما رأيتُ فقيهاً قـطُّ أقـلَّ صومـاً مـن عبـد ا لله بـن مسعود ، فقيل له : لِمَ لا تصومُ ؟

فقال : إني أختارُ الصلاةَ على الصوم ، فـإذا صمـتُ ضعفتُ عن الصلاة) .

ويكفيـه فضـلاً أن النـبيَّ ﷺ أحـبَّ أن يســمعَ منــه القرآن ، وأمر أصحابَه أن يتمسّكوا بعهـده ، وأن يـأخذوا القرآنَ عنـه ، فقـال : « مـن أحـبَّ أن يقـرأ القـرآنَ غضّـاً كما أُنزل ، فلْيقرأْهُ على قراءةِ ابنِ أمِّ عبد » .

وقال ﷺ : « تمسّكوا بعهد ابن أمِّ عبد » .

ويكفيه فضلاً أنه كان يشبَّه بالنبيِّ ﷺ في هديه ودَلِّه وسَمْتِه .

زهدُه وتواضُعُه :

عن حبيب بن أبي ثابتٍ قال :

(خرج ابنُ مسعودٍ ذاتَ يومٍ فاتّبعه ناسٌ، فقال لهم : أَلَكُم حاجة ؟

قالوا : لا ، ولكن أردنا أن نمشيَ معك .

فقال : ارجعوا ، فإنه ذلّةٌ للتابع ، وفتنةٌ للمتبوع) .

وعن الحارث بن سويد قال : قال عبدُ الله بنُ مسعود ﷺ : (لو تعلمون ما أعلمُ من نفسي ، حَثَيْتُم[1] على رأسي الترابَ) .

وعن محارب بن دثارٍ عن عمِّه قال :

(مررتُ بابن مسعود بسَحَرٍ وهو يقول : اللهم دعوتَني فأجبتُك، وأمرتني فأطعتُك، وهذا سَحَرٌ فاغفر لي .

---

[1] حثيتُم : رميتم .

فلمّا أصبحتُ غدوتُ عليه فقلت له ...[1]

فقال : إنّ يعقوب لما قال لبنيه : ﴿ **سوفَ أستغفر لكم** ..﴾[2] أخّر إلى السَحَر .

وعن مسروق قال :

قال رجلٌ عند عبد الله : ما أحبُّ أن أكون من أصحاب اليمين ، أكونُ من المقرَّبين أحبُّ إليَّ .

فقال عبدُ الله : لكنْ هاهنا رجلٌ وَدَّ أنه إذا مات لا يُبْعَثُ . ـ قال مسروق : يعني نفسَه !! ـ

وعن الحسن قال :

قال عبدُ الله بنُ مسعود : لو وقفتُ بين الجنة والنار فقيل لي : اخترْ نُخيِّرْكَ مِن أيِّهما تكونُ أحبّ إليك أو تكونُ رماداً ... لأحببتُ أن أكونَ رماداً .

---

[1] واضح أن ثمّةَ كلاماً محذوفاً تقديره : فقلت له : لِمَ اخترتَ السحرَ .

[2] الآية ٩٨ من سورة يوسف .

وعن أبي وائل قال :

قال عبدُ الله : ودِدْتُ أن الله غفر لي ذنباً من ذنوبي ، وأنه لا يُعرَفُ نسبي .

وعن الأحوص الجُشَمي قال :

دخلنا على ابن مسعود وعندَه بنون له ثلاثةُ غلمانٍ كأنهمُ الدنانيرُ حُسناً ، فجعلنا نتعجّبُ من حسنهم ..

فقال لنا : كأنكم تغبطوني بهم ؟

قلنا : نعم ، والله بمثل هؤلاء يُغبَطُ المرءُ المسلم .

فرفع رأسَه إلى سقفِ بيتٍ له صغيرٍ قد عشّشَ فيه خطّافٌ وباضَ ، فقال : والذي نفسي بيده لأَنْ أكونَ قد نفضتُ يدي عن ترابِ قبورهم أحبُّ إليّ أن يسقطَ عشُّ هذا الخطاف وينكسرَ بيضُه .

وعن الحسن قال :

قال عبد الله بنُ مسعود : ما أُبالي إذا رجعتُ إلى

أهلي على أيِّ حالٍ أراهم ، بخيرٍ أم بشرٍّ أم بضُرٍّ .

وما أصبحتُ على حالةٍ فتمنّيتُ أني على سِواها .

وقال : لو سخرتُ من كلبٍ لخشيتُ أن أُحوَّلَ كلباً .

وقال : مع كلِّ فَرْحةٍ ترحةٌ ، وما مُلِئَ بيتٌ حُبْرَةً[1] إلاّ مُلِئَ عَبْرة .

[1] الحبرة : من الحبور ، وهي النعمةُ وسَعةُ العيش .

من أقواله في الوعظ :

عن عبد الرحمن بن عابس قال :

قال عبدُ الله بنُ مسعود : (إن أصدقَ الحديث كتابُ الله عز وجل ، وأوثقَ العُرى كلمةُ التقوى ، وخيرَ الملل ملّةُ إبراهيمَ ، وأحسنَ السنن سُنّةُ محمد ﷺ ، وخيرَ الهدي هديُ الأنبياء ، وأشرفَ الحديث ذكرُ الله، وخيرَ القصص القرآنُ ، وخيرَ الأمور عواقبُها ، وشرَّ الأمور مُحْدَثاتُها .

وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كَثُرَ وألهى ، ونفسٌ تُنْجِيها خيرٌ من إمارةٍ لا تُحصيها ، وشرّ المعذرة حين يحضرُ الموتُ ، وشرّ الندامة ندامةُ يوم القيامة ، وشرُّ الضلالةِ الضلالةُ بعد الهدى ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، وخير ما أُلقيَ في القلب اليقين ، والريب من الكفر ، وشرّ العمى عمى القلب ، والخمر جماعُ الإثم ،

والنساء حبالةُ الشيطان ، والشباب شعبةٌ من الجنون ، والنَّوح من عمل الجاهلية ، ومن الناس من لا يأتي الجمعةَ إلاّ دَبْراً[1]، ولا يذكرُ الله إلاّ هَجراً[2].

وأعظم الخطايا الكذبُ ، وسِباب المسلم فسوقٌ ، وقتاله كفر ، وحرمةُ ماله كحرمةِ دمه ، ومَنْ يعفُ يَعْفُ اللهُ عنه ، ومن يكظم الغيظَ يأجُرهُ الله ، ومَن يغفرْ يغفرِ اللهُ له ، ومن يصبرْ على الرّزيّة يُعقبهُ الله .

وشرُّ المكاسب كسبُ الربا ، وشرُّ المآكل أكلُ مال اليتيم ، والسعيدُ من وُعِظَ بغيره ، والشقيُّ من شقي في بطن أمّه .

وإنما يكفي أحدَكم ما قنعتْ به نفسُه ، وملاكُ العمل خواتمُه ، وشرُّ الروايا روايا الكذب ، وأشرفُ

---

[1] آخر الناس .

[2] هَجْراً : أي تاركاً له معرضاً عنه .

المـوت قتْـلُ الشـهداء ، ومـن يعـرفِ البـلاءَ يصـبرْ عليـه ، ومن لا يعرفه يُنكره ، ومن يستكبرْ يضَعْهُ الله ، ومن يتولَّ الدنيا تعجزْ عنه .

ومن يطعِ الشيطانَ يعصِ الله، ومن يعصِ الله يعذِّبْه.

من مواعظه لحَفَظَةِ القرآن :

قال ﷺ :

(ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَفَ بليله إذا الناسُ نائمون ، وبنهاره إذا الناسُ مفطرون ، وبحزنه إذا الناسُ فَرِحون ، وببكائه إذا الناسُ يضحكون ، وبصمته إذا الناسُ يخلطون ، وبخشوعه إذا الناسُ يختالون .

وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً حكيماً سِكِّيتاً[1]، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخّاباً ولا صيّاحاً) .

ويقول ﷺ :

(من تطاولَ تعظُّماً خفضه الله ، ومن تواضعَ

---

[1] سكّيتاً : كثير السكوت . والحِدّيدُ : مَن فيه حِدّة ، وهي الغضب .

تخشُّعــاً رفعه الله ، وإنّ للملَك لَمَّة[1]، وللشيطان لَمَّة :

فلَمَّةُ الملَك إيعادٌ بالخير وتصديقٌ بـالحق ، فـإذا رأيتـمْ ذلك فاحمدوا الله عزّ وجل .

ولَمَّـةُ الشـيطان إيعـادٌ بالشـرّ وتكذيـبٌ بـالحقّ ، فإذا رأيتمْ ذلك فتعوّذوا با لله تعالى) .

---

(1) ما يَهمُّ به الإنسان من أمرٍ ليفعلَه .

من أقواله في النصح :

عن المسيَّب بن رافع قال :

قال عبدُ الله بنُ مسعود ﷺ : (إني لأبغضُ الرجلَ أن أراه فارغاً ليس في شيءٍ من عمل الدنيا ، ولا في عمل الآخرة) .

وقال ﷺ : (إن الشيطانَ أطافَ بأهلِ مجلسِ ذكرٍ ليفتنَهم ، فلم يستطعْ أن يفرِّقَ بينَهم ، فأتى على حلقةٍ يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا .

فقام أهلُ الذكر فحجزوا بينهم ، فتفرَّقوا) .

وقال ﷺ : (ما دمتَ في صلاةٍ فأنتَ تقرع بابَ الملك ، ومَن يقرعْ بابَ الملك يُفتَحْ له) .

وقال ﷺ : (كونوا ينابيعَ العلم ، مصابيحَ الهدى ،

أحلاسَ[1] البيوت ، سُرُجَ الليل ، جُددَ القلوب ، خُلقانَ الثياب ، تُعرَفون في أهلِ السماء ، وتخفونَ في أهل الأرض) .

وقال ﷺ : (ليس العلمُ بكثرة الرواية ، ولكنِ العلمُ بالخشية) .

وعن منذر قال :

(جاء ناسٌ من الدهاقين[2] إلى عبد الله بن مسعود ﷺ ، فتعجّب الناسُ من غِلظِ رقابهم وصحّتهم ، فقال عبدُ الله :

إنكم ترون الكافرَ من أصحّ الناس جسماً وأمرضِهم قلباً، وتلقَون المؤمن من أصحّ الناس قلباً وأمرضِهم جسماً.

---

[1] ملازمين البيوت ، وخلقان الثياب : الثياب البالية .. زيادةً في التواضع والزهد .

[2] الدهاقين : جمع دهقان ، وهو لفظٌ يطلَقُ على رئيس القرية وعلى التاجر .

والله لـو مرضَـتْ قلوبُكـم ، وصحَّـتْ أجسـامُكم لكنتُـم أهونَ على الله من الجُعْلان[1]) .

وقال ﷺ : (لا يبلغُ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتى يكـونَ الفقـرُ أحـبَّ إليـه مـن الغنـى ، والتواضـعُ أحـبَّ إليـه مـن الشرف . وحتى يكونَ حامدُه وذامُّه عندَه سَواء) .

[1] الجعلان : جمع جُعَل ، وهو دويبة في الأرض ، أو حشرة كالخنفساء .

وصيّتُه :

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال :

أوصى عبدُ الله بنُ مسعود إلى الزبير ـ وكان رسولُ الله ﷺ آخى بينهما ـ فأوصى إليه وإلى ابنه عبد الله بن الزبير :

(هذا ما أوصى به عبدُ الله بنُ مسعود إنْ حدَثَ به حَدَثٌ في مرضه ، إنّ مرجعَ وصيّته إلى الزبير بن العوام وإلى ولده عبد الله بن الزبير ، وإنهما في حِلٍّ وبِلٍّ فيما وَلَيا من ذلك وقضيا من ذلك ، ولا حرجَ عليهما في شيءٍ منه ، وأنه لا تُزوَّجُ امرأةٌ من بناتِه إلاّ بعلمهما، ولا يُحجَرُ ذلك عن امرأتِه زينبَ بنتِ عبد الله الثقفية .

وكان فيما أوصى به في رقيقه : إذا أدّى فلانٌ خمسمئةٍ فهو حرٌّ) .

وقال علقمة :

(مرضَ ابنُ مسعود مرضاً فجزع فيه ، فقلنا له :

ما رأيناك جزعتَ في مرضٍ ما جزعتَ في مرضك هذا ؟!!

فقال : إنه أخذني وأقربَ بي من الغفلة .

وذكر الموتَ وقال : ما أنا له اليوم بمتيسّر) .

خاتمة

في ذكر وفاته :

قدم ابنُ مسعود ﷺ من العراق حاجّاً ، فمرّ في طريقه بالربذة فشهد وفاةَ أبي ذر الغفاري ﷺ ، فصلّى عليه ودفنه .

ثم قدم المدينةَ فمرضَ بها ، فجاءه عثمانُ ﷺ يعودُه ، فقال له : ما تشتكي ؟

قال : ذنوبي .

قال : فما تشتهي ؟

قال : رحمةَ ربي .

قال : ألا آمرُ لك بطبيبٍ ؟

قال : الطبيبُ أمرضني .

قال : ألا آمرُ لك بعطائك ؟ ـ وكان قد منعه عنه سنتين ـ .

قال : لا حاجةَ لي فيه .

قال : يكونُ لبناتك من بعدك .

قال : أتخشى على بناتي الفقرَ ؟ إني أمرتُ بناتي أن يقرأْنَ كلَّ ليلةٍ سورةَ الواقعة ، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « من قرأ الواقعةَ في كلِّ ليلةٍ لم تُصبْهُ فاقةٌ أبداً » .

ثم أوصى ﷺ أن يصليَ عليه الزبيرُ بن العوّام .

ويُروى أن عثمانَ عاتبَ الزبيرَ في ذلك .. فقيل : صلّى عليه الزبيرُ ، وقيل : عثمان ، وقيل : عمار .

ودُفن بالبقيع ليلاً ، وكان عمره يوم مات ﷺ

بضعاً وستين سنة .

ولْنُصْغِ إليه ﷺ وهو يحدّثنا بكلماتٍ كلُّها هدىً ونورٌ نختمُ بها حديثَنا عن رجلٍ أمضى حياتَه كلَّها في العلم والزهد والورع والصدق والاستقامة والتواضع ...

يقول ﷺ :

(قمتُ من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فرأيتُ شعلةً من نارٍ في ناحيةِ العسكر ، فاتّبعتُها أنظرُ إليها ، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبدُ الله ذو البجادين المزَني قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسولُ الله ﷺ في حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدلِّيانه إليه .

ورسول الله ﷺ يقولُ : أَدنيا إليَّ أخاكما .

فدلَّياه إليه ، فلمّا هيّأه للحده قال : « اللهم إني أمسيتُ راضياً عنه ، فارضَ عنه » .

فياليتني كنتُ صاحبَ تلك الحفرة) .

كلماتٌ عظيمةٌ تدلُّ على طهارة قلبه ، وعظَمةِ نفسه ، وقوّة إيمانه ، لا يريد من طولِ الأرضِ وعرضِها سوى هذه الأمنية الغالية ... أن يكون الله ورسولُه راضيينِ عنه .

فرضي الله عنه وأرضاه ، وأدخله فسيحَ جنّاته مع الذين رضي الله عنهم ورضُوا عنه **أولئك حزبُ الله ألا إن حزبَ الله هم المفلحون .**

وقَبِلَ عملَه وشكر سعيه ، وجزاه عنا وعن الإسلام خيرَ الجزاء، وحشره **مع الذين أنعم الله عليهم**

من النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً ... ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً . صدق الله العظيم .

تمت الرسالة

والحمد لله رب العالمين

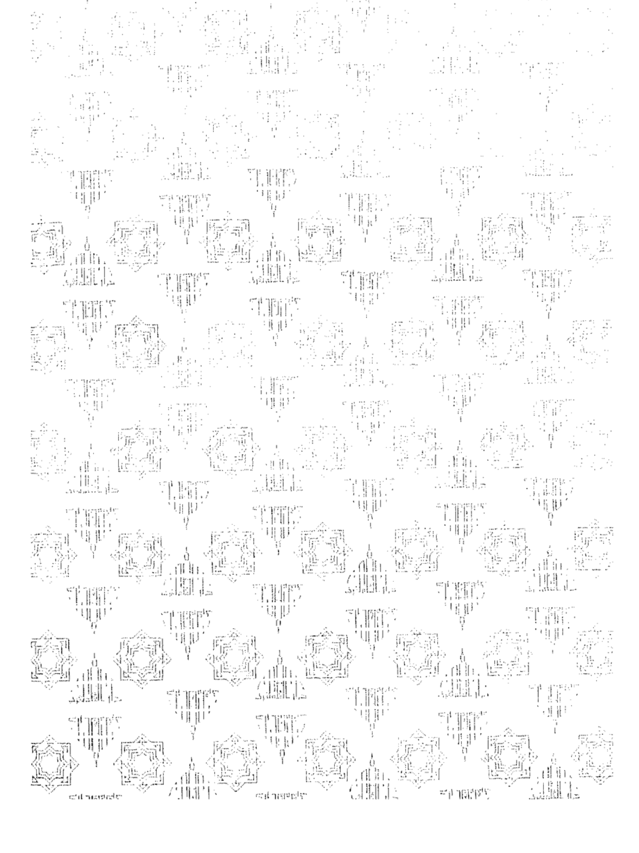
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

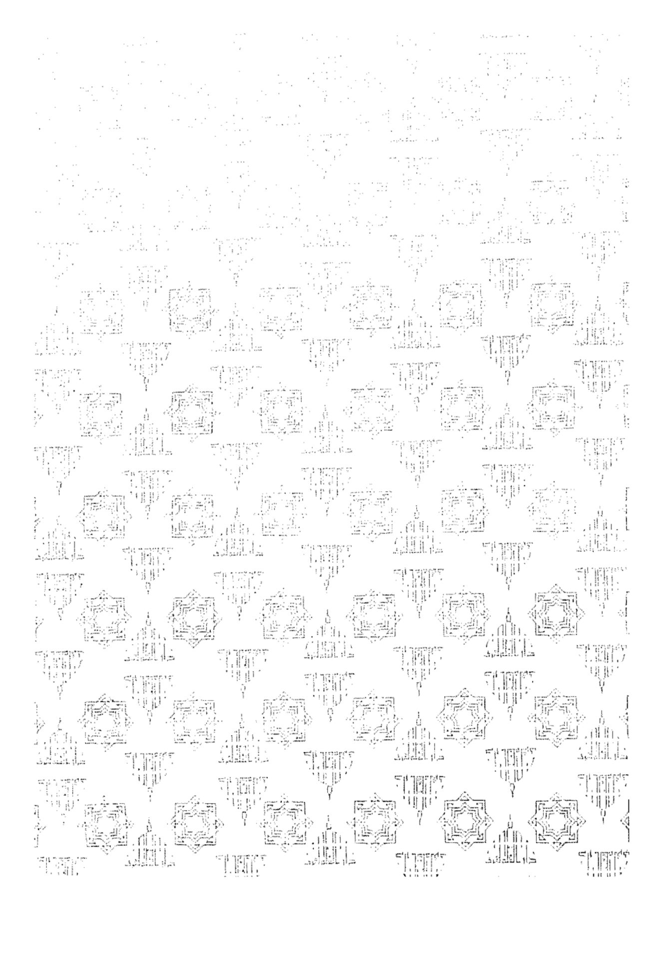
وإلى لقاء مع عملاق آخر من عمالقة الإسلام

الفهرس

سعد بن معاذ ﵁ :

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :





عمالقة الإسلام

للصغار واليافعين

١ ـ خالد بن الوليد
٢ ـ أبو عبيدة بن الجراح
٣ ـ سعد بن ابي وقاص
٤ ـ المثنى بن حارثة وعلي بن الحسين
٥ ـ عمرو بن العاص
٦ ـ الزبير بن العوام
٧ ـ عبد الرحمن بن عوف
٨ ـ النعمان بن مقرّن
٩ ـ ابو ذر الغفاريّ
١٠ ـ سعد بن معاذ
١١ ـ عمر بن عبد العزيز
١٢ ـ الحجاج بن يوسف
١٣ ـ الحسن والحسين

إنّهم رجالٌ صدقوا فسَطعوا في سماء تاريخنا الإسلامي ، وأخْلصوا فأخمدوا جذوة الأنانيّةِ ، وأخرسوا ألسنة الشيطان .

وهَبُوا أنفسَهم لله فهانتِ الدّنيا أمامهم وهوتْ صروحُ الشهواتِ من أفئدتهم .

أحبّوا اللهَ ورسوله ، فحَبوْا نحو ساحات الجهادِ، يَحثون الردى في وجوهِ أعداءِ الحياة .

أولئك عمالقةُ الإسلام : صروحٌ شامخة ، ومناراتٌ يمتد ضوءُها في كل مكان وزمان .

الناشر



